الآية الكبرى

في

شرح قصة الإسرا

تأليف

الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ

وقف على طبعها

أحمد عبيد

الطبعة الأولى بنفقة

المكتبة العربية في دمشق
لأصحابها عبيد اخوان

مطبعة الترقي بدمشق
١٣٥٠/٧/١ - ١٢٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نِعَمه التي لا تُحصى، والصلاةُ والسلام على سيدنا محمدٍ الذي أُسرِيَ به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

هذا جزء جمعتُه في شرح قصة الإسراء بالغتُ في إتقانه، ورتّبتُه على أربعة فصول:

الأول: في سرد الأحاديث الواردة فيه ليُعرف اختلاف الأخبار بألفاظها.

الثاني: في حقيقته، وهل هو يقظة أو منام، وهل وقع مرة أو مرتين أو أكثر، وهل المعراج والإسراء سِيّان أو غيران.

الثالث: في تاريخه الزماني والمكاني.

الرابع: في نُكتِه الفائقة.

وسمّيته (الآية الكُبرى، في شرح قصة الإسرا)، والله أسأل قبوله والإثابة عليه، وأن يحظينا بالزُلفى لديه، بمنّه ويُمنِه.

الفصل الأول

في سرد الأحاديث الواردة فيه

ولنبدأ بأجودها وأتقنها وهو حديثُ حمّاد بن سلمة عن ثابت عن أنس فإنه جوّده وأتقنه فسلم مما في غيره من التعارُض، قال مُسلم : حدّثنا شيبان بن فرّوخ عن حمّاد بن سلمة عن ثابتٍ البُناني عن أنسٍ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أُتيتُ بِالْبُراقِ وَهُوَ دابّةٌ أبيضُ طويلٌ فوقَ الحمارِ ودونَ البغلِ ، يضعُ حافرهُ عِندَ منتهى طرفِهِ ، قال : فركبتُه حتى أتيتُ بيتَ المقدسِ فربطتُه بالحلقةِ التي يربطُ بها الأنبياء ، ثُمّ دخلتُ المسجدَ فصلّيتُ فيهِ ركعتينِ ثُمّ خرجتُ فجاءني جبريلُ بإناءٍ مِن خمرٍ وإناءٍ مِن لبنٍ فاخترتُ اللبنَ ، فقالَ جبريلُ : اخترتَ الفطرةَ ، ثُمّ عرجَ بِنا إلى السماءِ الدُنيا فاستفتحَ جبريلُ فقيلَ مَنْ أنتَ ؟ قال : جبريلُ ، قيلَ : ومَنْ معكَ ؟ قالَ محمّدٌ ، قيلَ : وقدْ بُعِثَ إليهِ ؟ قالَ : قدْ بُعِثَ إليهِ ، ففُتِحَ لنا فإذا أنا بآدم فرحّبَ بي ، ودعا لي بخيرٍ . ثُمّ عرجَ بِنا إلى السماءِ الثانيةِ فاستفتحَ جبريلُ فقيلَ مَنْ أنتَ ؟ فقالَ : جبريلُ ، قيلَ : ومَنْ معكَ ؟ قالَ : محمّدٌ ، قيلَ : وقدْ بُعِثَ إليهِ ؟ قالَ : بُعِثَ إليهِ ففُتِحَ لنا فإذا أنا بابْنَي الخالةِ عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا فرحّبا بي ودعوا لي بخيرٍ ، ثُمّ عرجَ بِنا إلى السماءِ الثالثةِ فاستفتحَ جبريلُ فقيلَ : مَنْ أنتَ ؟ فقالَ : جبريلُ ،

قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ وَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ . ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ قِيلَ : مَنْ هٰذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ . قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى : (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) . ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، قِيلَ : مَنْ هٰذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، قِيلَ : مَنْ هٰذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ هٰذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى فَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ ، قَالَ : فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللّٰهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللّٰهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا ، قَالَ : فَأَوْحَى إِلَيَّ مَا أَوْحَى فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ : مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ ؟ قُلْتُ : خَمْسِينَ صَلَاةً ، قَالَ : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذٰلِكَ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ قَالَ : فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ : يَا رَبِّ خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي ، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا ،

فَرَجَعْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ فَقُلْتُ : حَطَّ عَنِّي خَمْساً ، قَالَ : إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَٰلِكَ فَارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، قَالَ : فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي وَبَيْنَ مُوسَىٰ حَتَّىٰ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ لِكُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَتِلْكَ خَمْسُونَ صَلَاةً ، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْراً ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئاً ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً فَنَزَلْتُ حَتَّىٰ انْتَهَيْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ : ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، فَقُلْتُ : قَدْ رَجَعْتُ إِلَىٰ رَبِّي حَتَّىٰ اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ .

وقال البخاري حدثنا يحيى بن بُكَيْر حدثنا اللَّيث عن يُونُس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال : كان أبو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَاناً فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَىٰ السَّمَاءِ ، فَلَمَّا جِئْتُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ : افْتَحْ ، قَالَ : مَنْ هٰذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قَالَ : هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ مَعِي مُحَمَّدٌ ، فَقَالَ : أَأُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَلَمَّا فَتَحَ عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَلَىٰ يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ ، وَعَلَىٰ يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ ، إِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَىٰ فَقَالَ : مَرْحَباً بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ ، قُلْتُ لِجِبْرِيلَ : مَنْ هٰذَا ؟ قَالَ : هٰذَا آدَمُ ، وَهٰذِهِ الْأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ فَأَهْلُ الْيَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ ، وَالْأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ ، فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَىٰ حَتَّىٰ عَرَجَ

بِي إلى السَّماءِ الثَّانيةِ فقالَ لخازنِها: افتحْ، فقالَ لهُ خازنُها مِثلَ ما قالَ الأوَّلُ ففتحَ.

قال أنسٌ: فذكر أنه وجد في السمٰوات آدمَ وإدريسَ وموسى وعيسى وإبراهيمَ، ولم يُثبِتْ كيف منازلهم، غير أنه ذكر أنه وجد آدمَ في السماءِ الدُّنيا وإبراهيمَ في السماءِ السادسة، قال أنس: فلما مرّ جبريل عليه السلام بالنبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم بإدريسَ قال: مرحباً بالنبيِّ الصَّالحِ والأخِ الصَّالحِ قلتُ: مَنْ هذا؟ قال: هذا إدريسُ، ثُمَّ مررتُ بموسى فقالَ: مرحباً بالنبيِّ الصَّالحِ والأخِ الصَّالحِ، قلتُ: مَنْ هذا؟ قالَ: هذا موسى، ثُمَّ مررتُ بعيسى فقالَ: مرحباً بالأخِ الصَّالحِ والنبيِّ الصَّالحِ قلتُ: مَنْ هذا؟ قالَ: عيسى ثُمَّ مررتُ بإبراهيمَ فقالَ: مرحباً بالنبيِّ الصَّالحِ والابنِ الصَّالحِ قلتُ: مَنْ هذا؟ قالَ: إبراهيمُ، ثُمَّ عرجَ بي حتى ظهرتُ لمستوى أسمعُ فيهِ صريفَ الأقلامِ ففرضَ اللهُ على أُمَّتي خمسينَ صلاةً فرجعتُ بذلكَ حتى مررتُ على موسى فقالَ: ما فرضَ اللهُ على أُمَّتِكَ؟ قلتُ: فرضَ خمسينَ صلاةً، قالَ: فارجعْ إلى ربِّكَ فإنَّ أُمَّتَكَ لا تُطيقُ، فراجعتُ فوضعَ شطرَها، فرجعتُ إلى موسى قلتُ: وضعَ شطرَها، قالَ: ارجعْ إلى ربِّكَ فإنَّ أُمَّتَكَ لا تُطيقُ فرجعتُ فوضعَ شطرَها، فرجعتُ إليهِ فقالَ: ارجعْ إلى ربِّكَ فإنَّ أُمَّتَكَ لا تُطيقُ ذلكَ فراجعتُهُ فقال: هيَ خمسٌ وهيَ خمسونَ لا يُبدَّلُ القولُ لديَّ فرجعتُ إلى موسى قالَ: ارجعْ إلى ربِّكَ قلتُ: قد استحييتُ من ربِّي، ثُمَّ انطلقَ بي حتى انتهى بي إلى السِّدرةِ المنتهى وغشيها ألوانٌ لا أدري ما هي، ثُمَّ أُدخلتُ الجنةَ فإذا فيها حبائلُ اللؤلؤِ، وإذا ترابُها المسكُ.

وقال البخاريُّ أيضاً: حدثنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللهِ حدثني سليمان وهو

ابنُ بلال عن شَريك بن عبد الله يعني ابنَ أبي نَمِر قال : سمعتُ أنسَ بنَ مالك يقول : ليلة أُسريَ برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة جاءه ثلاثة نفرٍ قبل أن يُوحى إليه وهو نائمٌ في المسجد الحرام فقال أوّلهم : أيّهم هو؟ فقال أوسطهم : هو خيرُهم ، فقال آخرُهم : خذوا خيرَهم ، وكانت تلك الليلةَ فلم يرَهم حتى أتوهُ ليلةً أخرى فيما يرى قلبُه وتنامُ عيناه ولا ينامُ قلبُه ، وكذلك الأنبياء تنامُ أعينُهم ولا تنامُ قلوبُهم فلم يكلّموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزمَ فتولاّه منهم جبريلُ فشقّ جبريلُ ما بين نحره إلى لَبّته حتى فرغَ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفَه ، ثمّ أُتيَ بطستٍ من ذهبٍ محشوّ إيمانًا وحكمةً فحشا به صدرَه ولغاديدَه يعني عروقَ حلقه ثم أطبقه ، ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب بابًا من أبوابها فناداه أهلُ السماء : مَن هذا؟ فقال : جبريل ، قالوا : ومَن معك؟ قال : معي محمدٌ ، قالوا : وقد بُعث ، قال : نعم ، قالوا : مرحبًا به وأهلاً يستبشرُ به أهلُ السماء لا يعلم أهلُ السماء بما يريد الله به في الأرض حتى يُعلمهم ، ووجد في السماء الدنيا آدمَ فقال له جبريلُ : هذا أبوك آدم فسلِّم عليه فسلّم عليه وردّ عليه آدمُ وقال : مرحبًا وأهلاً بابني نعمَ الابنُ أنتَ ، فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطّردان فقال : ما هذان النهران يا جبريلُ؟ قال : هذا النيلُ والفراتُ عنصرُهما ، ثم مضى به في السماء فإذا هو بنهرٍ آخرَ عليه قصرٌ من لؤلؤ وزبرجد فضرب يدَه فإذا هو مسكٌ أذفرُ فقال : ما هذا يا جبريل؟ قال : هذا الكوثر الذي خبأ لك ربُّك ، ثم عرج به إلى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثلَ ما قال له الأولى : مَن هذا؟ قال : جبريلُ ، قالوا : ومن معك؟ قال : محمدٌ ، قالوا : وقد بُعث إليه؟ قال : نعم ، قالوا : مرحبًا وأهلاً ، ثم عرج به إلى السماء الثالثة فقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية ، ثم عرج به إلى الرابعة فقالوا له مثل ذلك ، ثم عرج به إلى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ، ثم

عرج به إلى السادسة فقالوا له مثل ذلك ، ثم عرج به إلى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك ، كلُّ سماء فيها أنبياء قد سمَّاهم فأوعيت منهم إدريس في الثانية ، وهارون في الرابعة ، وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه ، وإبراهيم في السادسة ، وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله ، فقال موسى : رَبِّ لم أظنّ أن يرفع عليّ أحد ، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدرة المنتهى ، ودنا الجبار ربُّ العزة فتدلّى حتى كان منه قابَ قوسين أو أدنى فأوحى الله إليه فيما أوحى خمسين صلاةً كلَّ يومٍ وليلةٍ ، ثمَّ هبط به حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال : يا محمدُ ماذا عهد إليك ربُّك ؟ قالَ : عهِدَ إليَّ خمسين صلاةً كلَّ يومٍ وليلةٍ ، قال : إنَّ أمتَكَ لا تستطيع ذلك فارجعْ فليُخفِّف عنك ربُّكَ وعنهم ، فالتفت النبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى جبريلَ كأنه يستشيره في ذلك فأشار إليه جبريلُ أن نعم إن شئتَ ، فذكر نحوًا ما تقدَّم . قال العلماء : اضطرب شريكٌ في هذا الحديث وساء حفظه ولم يضبطه .

وقال البزَّار : حدثنا سلمَةَ بن شبيب حدَّثنا سعيدُ بن منصور حدَّثنا الحارث ابن عبيد عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينا أنا قاعدٌ إذ جاء جبريلُ عليه السلامُ فوكَزَ بين كتفيَّ فقمتُ إلى شجرةٍ فيها كَوَكْرَي الطَّيْرِ فقعدَ في أحدِهما وقعدتُ في الآخرِ فنمتْ وارتفعتْ حتى سدَّتْ الخافقَيْنِ وأنا أقلِّبُ طرفي ، ولو شئتُ أنْ أمسَّ السماءَ لمسستُ فالتفتَ إليَّ جبريلُ كأنَّهُ حِلْسٌ لاطئٌ فعرفتُ فضلَ علمِهِ باللهِ عليَّ وفُتِحَ لي بابٌ منْ أبوابِ السماءِ فرأيتُ النورَ الأعظمَ وإذا دونَ الحجابِ رفرفُ الدُّرِّ والياقوتِ وأوحيَ إليَّ ما شاءَ أنْ يوحى . قال الحافظ عمادُ الدين بن كثير : إنْ صحَّ هذا الحديثُ فهي واقعةٌ غيرُ واقعةِ الإسراء لأنه لم يذكر فيها بيت المقدس ولا الصعود إلى السماء .

وقال البيهقي في الدلائل : أخبرنا أبو الحسن بن عبدان أخبرنا أحمد الصفار حدثنا محمد بن إسماعيل الترمذي حدثنا أبو علي بن مقلاص حدثنا عبد الله ابن وهب حدثني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن أبيه عن عبد الرحمن بن هاشم عن أنس بن مالك قال : لما جاء جبريل بالبراق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنها أصرت أذنيها فقال لها جبريل : مه يا براق فوالله إن ركبك مثله ، فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو بعجوز على جنب الطريق فقال : ما هذه يا جبريل ؟ قال جبريل : سر يا محمد فسار ما شاء الله أن يسير فإذا هو بشيء يدعوه متنحياً عن الطريق يقول : هلم يا محمد ، فقال له جبريل : سر يا محمد فسار ما شاء الله أن يسير قال : فلقيه خلق من الخلق فقالوا : السلام عليك يا أول ، السلام عليك يا آخر ، السلام عليك يا حاشر ، فقال له جبريل : اردد السلام يا محمد فرد السلام ، ثم لقيه الثانية فقال له مثل مقالته الأولى ، ثم الثالثة كذلك حتى انتهى إلى بيت المقدس فعرض عليه الماء والخمر واللبن فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن ، فقال له جبريل : أصبت الفطرة ولو شربت الماء لغرقت وغرقت أمتك ، ولو شربت الخمر لغويت وغوت أمتك ، ثم بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء فأمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ، ثم قال له جبريل : أما العجوز التي رأيت على جنب الطريق فلم يبق من الدنيا إلا ما بقي من عمر تلك العجوز ، وأما الذي أراد أن تميل إليه فذاك عدو الله إبليس أراد أن تميل إليه ، وأما الذين سلموا عليك فإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، قال الحافظ ابن كثير : في بعض ألفاظه نكارة وغرابة .

وقال ابن أبي حاتم في تفسيره : حدثني أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن أنس بن مالك قال : لما كان ليلة

أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّمَ أتاهُ جبريلُ بدابَّةٍ فوقَ الحمارِ ودُونَ البَغْلِ حَمَلَهُ جبريلُ عليها يَنْتَهِي خُفُّها حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُها فلمَّا بلغَ بيتَ المقدِسِ فَبَلَغَ المكانَ الذي يُقالُ لهُ بابُ محمدٍ أتى إلى الحجرِ الذي ثَمَّةَ فَغَمَزَهُ جبريلُ بإصبعِهِ فَنَقَبَهُ ثُمَّ رَبَطَها ثُمَّ صَعِدَ، فلمَّا استَوَيا في صَرْحَةِ المسجدِ قالَ جبريلُ: يا محمدُ هلْ سألتَ ربَّكَ أنْ يُرِيَكَ الحُورَ العِينَ؟ قالَ: نعمْ، فقالَ: فانْطَلِقْ إلى أولئكَ النِّسْوَةِ فَسَلِّمْ عليهنَّ وهنَّ جُلُوسٌ عن يسارِ الصخرةِ، قالَ: فأتيتُهنَّ فسلَّمتُ عليهنَّ فَرَدَدْنَ عليَّ السلامَ، فقلتُ: مَنْ أنتنَّ؟ فقلنَ: نحنُ خَيْراتٌ حِسانٌ، نساءُ قومٍ أبرارٍ، نَقُوا فلمْ يَدْرَنُوا، وأقامُوا فلمْ يَظْعَنُوا، وخَلَدُوا فلمْ يَمُوتُوا، قالَ: ثُمَّ انصرفتُ فلمْ ألبثْ إلَّا يسيراً حتَّى اجتمعَ ناسٌ كثيرٌ ثُمَّ أذَّنَ مؤذِّنٌ وأُقيمتِ الصلاةُ قالَ: فقُمْنا صفوفاً ننتظرُ مَنْ يؤُمُّنا فأخذَ بيدي جبريلُ عليهِ السلامُ فقدَّمني فصلَّيتُ بهمْ، فلمَّا انصرفتُ قالَ جبريلُ: يا محمدُ أتدري مَنْ صلَّى خلفَكَ؟ قالَ قلتُ: لا قالَ: صلَّى خلفَكَ كلُّ نبيٍّ بعثَهُ اللهُ، قال: ثُمَّ أخذَ بيدي جبريلُ فصعدَ بي إلى السماءِ فلمَّا انتهينا إلى البابِ استفتحَ فقالوا: مَنْ أنتَ؟ قالَ: أنا جبريلُ، قالوا: ومَنْ معكَ؟ قال: محمدٌ، قالوا: وقدْ بُعِثَ؟ قالَ: نعمْ ففتحوا لهُ وقالوا: مرحباً بكَ وبمنْ معكَ، قالَ: فلمَّا استوى على ظهرِها إذا فيها آدمُ، فقالَ لي جبريلُ: يا محمدُ ألا تُسلِّمُ على أبيكَ آدمَ؟ قالَ قلتُ: بلى، فأتيتُهُ فسلَّمتُ عليهِ فردَّ عليَّ وقالَ: مرحباً بابني والنبيِّ الصالحِ، قالَ: ثُمَّ عرجَ بي إلى السماءِ الثانيةِ فاستفتحَ قالوا: مَنْ أنتَ؟ قالَ: جبريلُ، قالوا: ومَنْ معكَ؟ قالَ: محمدٌ، قالوا: وقدْ بُعِثَ؟ قالَ: نعمْ، قالَ: ففتحوا لهُ وقالوا: مرحباً بكَ وبمنْ معكَ، فإذا فيها عيسى وابنُ خالتِهِ يحيى، قالَ: ثُمَّ عرجَ بي إلى السماءِ الثالثةِ فاستفتحَ قالوا: مَنْ أنتَ؟ قالَ: جبريلُ، قالوا: ومَنْ معكَ؟ قالَ: محمدٌ، قالوا: وقدْ بُعِثَ؟ قالَ: نعمْ

ففتحوا له وقالوا: مرحباً بك وبمن معك فإذا فيها يوسف، ثم عرج بي إلى السماء الرابعة فاستفتح قالوا: من أنت؟ قال: جبريل، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد، قالوا: وقد بعث؟ قال: نعم ففتحوا وقالوا: مرحباً بك وبمن معك فإذا فيها إدريس عليه السلام، ثم عرج بي إلى السماء الخامسة فاستفتح قالوا: من أنت؟ قال: جبريل، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد، قالوا: وقد بعث؟ قال: نعم ففتحوا وقالوا: مرحباً بك وبمن معك فإذا فيها هارون، ثم عرج بي إلى السماء السادسة فاستفتح فقالوا: من؟ قال: جبريل، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد، قالوا: وقد بعث؟ قال: نعم، ففتحوا وقالوا مرحباً بك وبمن معك فإذا فيها موسى عليه السلام، ثم عرج بي إلى السماء السابعة فاستفتح قالوا: من أنت؟ قال: جبريل، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد، قالوا: وقد بعث؟ قال: نعم، ففتحوا وقالوا: مرحباً بك وبمن معك وإذا فيها إبراهيم عليه السلام، فقال جبريل: يا محمد ألا تسلم على أبيك إبراهيم؟ فقلت: بلى فأتيته فسلمت عليه فرد السلام وقال: مرحباً بابني والنبي الصالح، قال: ثم انطلق بي على ظهر السماء السابعة حتى انتهى إلى نهر عليه خيام الياقوت واللؤلؤ والزبرجد وعليه طير خضر أنعم طير رأيت فقلت: يا جبريل إن هذا الطير لناعم، فقال: يا محمد آكله أنعم منه، ثم قال: يا محمد أتدري أي نهر هذا؟ قلت: لا، قال: هذا الكوثر الذي أعطاك الله إياه فإذا فيه آنية الذهب والفضة يجري على رضراض من الياقوت والزمرد، ماؤه أشد بياضاً من اللبن قال: فأخذت من آنيته فاغترفت من ذلك الماء فشربت فإذا أحلى من العسل وأشد رائحة من المسك، ثم انطلق بي حتى انتهى إلى

الشجرة فغشيتني سحابة فيها من كل لون فرفعني جبريل وخررت ساجداً لله عز وجل ، فقال الله : يا محمد إني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك قال : ثم انجلت عني السحابة وأخذ بيدي جبريل فانصرفت سريعاً فأتيت على إبراهيم فلم يقل لي شيئاً ، ثم أتيت على موسى فقال : ماصنعت يا محمد ؟ فقلت : فرض ربي علي وعلى أمتي خمسين صلاة قال : فلن تستطيعها أنت ولا أمتك فارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنك فرجعت سريعاً حتى انتهيت إلى الشجرة فغشيتني السحابة ورفعني جبريل وخررت ساجداً وقلت : رب إنك فرضت علي وعلى أمتي خمسين صلاة وإني لا أستطيعها أنا ولا أمتي فخفف عنا ، قال : قد وضعت عنكم عشراً ، قال : ثم انجلت عني السحابة وأخذ بيدي جبريل وانصرفت سريعاً حتى أتيت على إبراهيم فلم يقل شيئاً ، ثم أتيت على موسى فقال لي : ما صنعت يا محمد ؟ فقلت : وضع عني ربي عشراً قال : أربعون صلاة قال : لن تستطيعها أنت ولا أمتك فارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنكم فذكر الحديث كذلك إلى خمس صلوات وخمس بخمسين ، ثم أمره موسى أن يرجع فيسأل التخفيف فقلت : إني قد استحييت منه تعالى ، قال : ثم انحدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : ما لي لم آت أهل سماء إلا رحبوا وضحكوا إلي غير رجل واحد فسلمت عليه فرد علي السلام ورحب بي ولم يضحك إلي ؟ قال : يا محمد ذاك مالك خازن جهنم لم يضحك منذ خلقت ولو ضحك إلى أحد لضحك إليك ، قال : ثم ركبت منصرفاً فبينا هو في بعض طريقه مر بعير لقريش تحمل طعاماً منها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء ، فلما حاذى

بِالعيرِ نفرتْ منهُ واستدارتْ وصُرِعَ ذلكَ البعيرُ وانكسر ، ثمَّ إنهُ مضى فأصبحَ فأخبرَ عما كانَ ، فلما سمعَ المشركونَ قولَهُ أتوا أبا بكرٍ فقالوا : يا أبا بكرٍ هل لكَ في صاحبِكَ يخبرُ أنهُ أتى في ليلتِهِ هذهِ مسيرةَ شهرٍ ثمَّ رجعَ في ليلتِهِ ، فقالَ أبو بكرٍ : إنْ كانَ قالهُ فقدْ صدقَ وإنا لنصدقهُ فيما هوَ أبعدُ منْ هذا ، نصدقهُ على خبرِ السماءِ ، فقالَ المشركونَ لرسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ : ما علامةُ ما تقولُ ؟ قالَ : مررتُ بعيرٍ لقريشٍ وهيَ في مكانِ كذا وكذا فنفرتِ الإبلُ واستدارتْ ، وفيها بعيرٌ عليهِ غرارتانِ غرارةٌ سوداءُ وغرارةٌ بيضاءُ فصُرِعَ فانكسرَ ، فلما قدمتِ العيرُ سألوهمْ فأخبروهمُ الخبرَ على مثلِ ما حدثهمْ عليهِ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ ، ومنْ ذلكَ سُمِّيَ أبو بكرٍ الصديقَ وسألوهُ فقالوا : هلْ كانَ فيمنْ حضرَ معكَ عيسى وموسى ؟ قالَ : نعمْ ، قالوا : فصفهمْ ؟ قالَ : نعمْ ، أما موسى فرجلٌ آدمُ كأنهُ منْ رجالِ أزدعمانَ ، وأما عيسى فرجلٌ ربعةٌ يعلوهُ حمرةٌ كأنما يتحادرُ منْ شعرهِ الجمانُ . قالَ ابنُ كثيرٍ : هذا سياقٌ فيهِ غرائبُ عجيبةٌ .

وقال أحمد في مسنده : حدثنا عفانُ حدثنا همامٌ سمعتُ قتادةَ يحدثُ عن أنس بنِ مالك أنَّ مالكَ بنَ صعصعة حدثه أنَّ نبيَّ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم حدثهم عن ليلة أُسريَ به قال : بينا أنا في الحطيمِ ورُبما قالَ قتادةُ في الحجرِ مضطجعاً إذْ أتاني آتٍ فجعلَ يقولُ لصاحبِهِ : الأوسطُ منَ الثلاثةِ قالَ : فأتى : فقدَّ ما بينَ هذهِ إلى هذهِ فاستخرجَ قلبي فأُتيتُ بطستٍ منْ ذهبٍ مملوءةٍ إيماناً وحكمةً فغسلَ قلبي ثمَّ حشيَ ثمَّ أعيدَ ثمَّ أُتيتُ بدابةٍ دونَ البغلِ وفوقَ الحمارِ أبيضَ ، يضعُ خطوهُ عندَ أقصى طرفهِ فحُملتُ عليهِ فانطلقَ بي جبريلُ حتى أتى بي السماءَ الدنيا فاستفتحَ فقيلَ : منْ هذا ؟

قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ معكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَقِيلَ : مَرْحَبًا بِهِ وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ قَالَ : فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : هٰذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ ثُمَّ قَالَ : مَرْحَبًا بِالْابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ثُمَّ صَعِدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ : مَنْ هٰذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ معكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قِيلَ : مَرْحَبًا بِهِ وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ، قَالَ : فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا يَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ قَالَ : هٰذَا يَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا قَالَ : فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا السَّلَامَ ثُمَّ قَالَا مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ثُمَّ صَعِدَ حتى أَتَى السَّمَاءَ الثَّالِثَةَ فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ : مَنْ هٰذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ قِيلَ : وَمَنْ معكَ ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قِيلَ : مَرْحَبًا بِهِ وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ، فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا يُوسُفُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ ثُمَّ قَالَ : مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ثُمَّ صَعِدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرابعةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ : مَنْ هٰذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ معكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قِيلَ : مَرْحَبًا بِهِ وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِدْرِيسُ قَالَ : هٰذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ ثُمَّ قَالَ : مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ثُمَّ صَعِدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ : مَنْ هٰذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ معكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قِيلَ : مَرْحَبًا بِهِ وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ قَالَ : هٰذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ ثُمَّ قَالَ : مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، ثُمَّ صَعِدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ

السادسة فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أوقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به ونعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت فإذا أنا بموسى قال : هذا موسى فسلم عليه قال : فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ، قال : فلما تجاوزت بكى فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي ، ثم صعد حتى انتهى إلى السماء السابعة فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال : جبريل قيل : ومن معك ؟ قال : محمد قيل : أوقد أرسل إليه ، قال : نعم ، قيل : مرحبا به ونعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فإذا بإبراهيم قال : هذا إبراهيم فسلم عليه قال : فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ، قال : ثم رفعت إلى سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت : وما هذا يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران في الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور ، ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل قال : فأخذت اللبن ، قال : هذه الفطرة أنت عليها وأمتك ثم فرضت الصلاة فذكر نحو ما تقدم أخرجه الشيخان .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس بن يعقوب حدثنا أبو بكر يحيى بن أبي طالب حدثنا عبد الوهاب بن عطاء حدثنا أبو محمد الحماني عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : بينا أنا نائم عشاء في المسجد الحرام إذ أتاني آت فأيقظني فاستيقظت فلم أر شيئا ، وإذا أنا بهيئة خيال فأتبعته بصري حتى

خَرَجْتُ مِنَ ٱلْمَسْجِدِ فَإِذَا أَنَا بِدَابَّةٍ أَدْنَى شُبْهَةً بِدَوَابِّكُمْ هٰذِهِ بِغَالِكُمْ
هٰذِهِ مُضْطَرِبِ ٱلْأُذُنَيْنِ يُقَالُ لَهُ ٱلْبُرَاقُ وَكَانَتِ ٱلْأَنْبِيَاءُ تَرْكَبُهُ قَبْلِي يَضَعُ
حَافِرَهُ عِنْدَ مَدِّ بَصَرِهِ فَرَكِبْتُهُ فَبَيْنَا أَنَا أَسِيرُ عَلَيْهِ إِذْ دَعَانِي دَاعٍ عَنْ يَمِينِي يَا مُحَمَّدُ
ٱنْظُرْنِي أَسْأَلْكَ فَلَمْ أُجِبْهُ فَبَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ عَلَيْهِ إِذْ دَعَانِي دَاعٍ عَنْ
يَسَارِي يَا مُحَمَّدُ ٱنْظُرْنِي أَسْأَلْكَ فَلَمْ أُجِبْهُ فَبَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ عَلَيْهِ إِذَا أَنَا
بِٱمْرَأَةٍ حَاسِرَةٍ عَنْ ذِرَاعَيْهَا وَعَلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِينَةٍ خَلَقَهَا ٱللهُ فَقَالَتْ : يَا مُحَمَّدُ
ٱنْظُرْنِي أَسْأَلْكَ فَلَمْ أَلْتَفِتْ عَلَيْهَا حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ ٱلْمَقْدِسِ فَأَوْثَقْتُ دَابَّتِي
بِٱلْحَلْقَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ ٱلْأَنْبِيَاءُ تُوثِقُهَا بِهِ أَتَانِي جِبْرِيلُ بِإِنَاءَيْنِ أَحَدُهُمَا
خَمْرٌ ، وَٱلْآخَرُ لَبَنٌ فَشَرِبْتُ ٱللَّبَنَ وَتَرَكْتُ ٱلْخَمْرَ ، فَقَالَ جِبْرِيلُ : أَصَبْتَ
ٱلْفِطْرَةَ فَقُلْتُ : ٱللهُ أَكْبَرُ ٱللهُ أَكْبَرُ ، فَقَالَ جِبْرِيلُ : مَا رَأَيْتَ فِي وَجْهِكَ
هٰذَا ؟ فَقُلْتُ : بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ إِذْ دَعَانِي دَاعٍ عَنْ يَمِينِي يَا مُحَمَّدُ ٱنْظُرْنِي
أَسْأَلْكَ فَلَمْ أُجِبْهُ قَالَ : ذَاكَ دَاعِي ٱلْيَهُودِ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَجَبْتَهُ لَتَهَوَّدَتْ أُمَّتُكَ
قَالَ : وَبَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ إِذْ دَعَانِي دَاعٍ عَنْ يَسَارِي فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ٱنْظُرْنِي
أَسْأَلْكَ فَلَمْ أَلْتَفِتْ إِلَيْهِ قَالَ : ذَاكَ دَاعِي ٱلنَّصَارَى أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَجَبْتَهُ
لَتَنَصَّرَتْ أُمَّتُكَ ، وَبَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ إِذَا أَنَا بِٱمْرَأَةٍ حَاسِرَةٍ عَنْ ذِرَاعَيْهَا
عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِينَةٍ خَلَقَهَا ٱللهُ تَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ ٱنْظُرْنِي حَتَّى أَسْأَلَكَ فَلَمْ
أُجِبْهَا قَالَ : تِلْكَ ٱلدُّنْيَا أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَجَبْتَهَا لَٱخْتَارَتْ أُمَّتُكَ ٱلدُّنْيَا عَلَى
ٱلْآخِرَةِ ، ثُمَّ دَخَلْتُ أَنَا وَجِبْرِيلُ بَيْتَ ٱلْمَقْدِسِ فَصَلَّى كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا رَكْعَتَيْنِ
ثُمَّ أُتِيتُ بِٱلْمِعْرَاجِ ٱلَّذِي تَعْرُجُ عَلَيْهِ أَرْوَاحُ بَنِي آدَمَ فَلَمْ يَرَ ٱلْخَلَائِقُ
أَحْسَنَ مِنَ ٱلْمِعْرَاجِ مَا رَأَيْتَ ٱلْمَيِّتَ حِينَ يَشُقُّ بَصَرَهُ طَامِحًا إِلَى ٱلسَّمَاءِ
فَإِنَّ ذٰلِكَ عَجَبُهُ بِٱلْمِعْرَاجِ فَصَعِدْتُ أَنَا وَجِبْرِيلُ فَإِذَا أَنَا بِمَلَكٍ يُقَالُ

لَهُ إِسْمَاعِيلُ ، وَهُوَ صَاحِبُ سَمَاءِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ يَدَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ مَعَ كُلِّ مَلَكٍ جُنْدُهُ مِائَةُ أَلْفِ مَلَكٍ ، قَالَ : وَقَالَ اللهُ تَعَالَى : (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ) قَالَ : فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ بَابَ السَّمَاءِ ، قِيلَ : مَنْ هٰذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : أَوَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَهُ اللهُ عَلَى صُورَتِهِ تُعْرَضُ عَلَيْهِ أَرْوَاحُ ذُرِّيَّتِهِ الْمُؤْمِنِينَ فَيَقُولُ : رُوحٌ طَيِّبَةٌ وَنَفْسٌ طَيِّبَةٌ اجْعَلُوهَا فِي عِلِّيِّينَ ، ثُمَّ تُعْرَضُ عَلَيْهِ أَرْوَاحُ ذُرِّيَّتِهِ الْفُجَّارِ فَيَقُولُ : رُوحٌ خَبِيثَةٌ وَنَفْسٌ خَبِيثَةٌ اجْعَلُوهَا فِي سِجِّينٍ ، ثُمَّ مَضَيْتُ هُنَيْهَةً فَإِذَا أَنَا بِأَخْوِنَةٍ عَلَيْهَا لَحْمٌ مُشَرَّحٌ لَيْسَ يَقْرَبُهُ أَحَدٌ ، وَإِذَا أَنَا بِأَخْوِنَةٍ عَلَيْهَا لَحْمٌ قَدْ أَرْوَحَ وَنَتَنَ ، عِنْدَهَا أُنَاسٌ يَأْكُلُونَ مِنْهَا فَقُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ مَنْ هٰؤُلَاءِ ؟ قَالَ : هٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِكَ يَتْرُكُونَ الْحَلَالَ وَيَأْتُونَ الْحَرَامَ ، قَالَ : ثُمَّ مَضَيْتُ هُنَيْهَةً فَإِذَا أَنَا بِأَقْوَامٍ بُطُونُهُمْ أَمْثَالُ الْبُيُوتِ كُلَّمَا نَهَضَ أَحَدُهُمْ خَرَّ يَقُولُ : اللّٰهُمَّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ ، قَالَ : وَهُمْ عَلَى سَابِلَةِ آلِ فِرْعَوْنَ ، قَالَ : فَتَجِيءُ السَّابِلَةُ فَتَطَؤُهُمْ فَسَمِعْتُهُمْ يَضِجُّونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى ، قُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ مَنْ هٰؤُلَاءِ ؟ قَالَ : هٰؤُلَاءِ مِنْ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ، قَالَ : ثُمَّ مَضَيْتُ هُنَيْهَةً فَإِذَا أَنَا بِأَقْوَامٍ مَشَافِرُهُمْ كَمَشَافِرِ الْإِبِلِ فَيُفْتَحُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَيُلْقَمُونَ مِنْ ذٰلِكَ الْجَمْرِ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ أَسَافِلِهِمْ ، فَسَمِعْتُهُمْ يَضِجُّونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى قُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ مَنْ هٰؤُلَاءِ ؟ قَالَ : هٰؤُلَاءِ مِنْ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا ، قَالَ : ثُمَّ مَضَيْتُ هُنَيْهَةً فَإِذَا أَنَا بِنِسَاءٍ مُعَلَّقِينَ بِثُدِيِّهِنَّ فَسَمِعْتُهُنَّ يَضْجِجْنَ إِلَى اللهِ تَعَالَى قُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ مَنْ هٰؤُلَاءِ النِّسَاءُ ؟

قَالَ : هؤُلاَءِ الزُّنَاةُ مِنْ أُمَّتِكَ ، قَالَ : ثُمَّ مَضَيْتُ هُنَيْهَةً فَإِذَا أَنَا بِأَقْوَامٍ يُقْطَعُ مِنْ جُنُوبِهِمُ اللَّحْمُ فَيُلْقَمُونَ فَيُقَالُ لَهُ : كُلْ كَمَا كُنْتَ تَأْكُلُ مِنْ لَحْمِ أَخِيكَ ، قُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ مَنْ هؤُلاَءِ ؟ قَالَ : هؤُلاَءِ الْهَمَّازُونَ مِنْ أُمَّتِكَ اللَّمَّازُونَ قَالَ : ثُمَّ صَعِدْنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ أَحْسَنِ مَا خَلَقَ اللهُ قَدْ فَضَلَ النَّاسَ بِالْحُسْنِ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ قُلْتُ : يَاجِبْرِيلُ مَنْ هذَا ؟ قَالَ : هذَا أَخُوكَ يُوسُفُ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ قَوْمِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ ، ثُمَّ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَإِذَا أَنَا بِيَحْيَى وَعِيسَى ابْنَا الْخَالَةِ وَمَعَهُمَا نَفَرٌ مِنْ قَوْمِهِمَا فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَا عَلَيَّ ، ثُمَّ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ قَدْ رَفَعَهُ اللهُ مَكَانًا عَلِيًّا فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ ، ثُمَّ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ وَنِصْفُ لِحْيَتِهِ بَيْضَاءُ وَنِصْفُهَا سَوْدَاءُ ، لِحْيَتُهُ تُصِيبُ سُرَّتَهُ مِنْ طُولِهَا ، قُلْتُ : يَاجِبْرِيلُ مَنْ هذَا ؟ قَالَ : هذَا الْمُحَبَّبُ فِي قَوْمِهِ ، هذَا هَارُونُ بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ قَوْمِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ ، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ابْنِ عِمْرَانَ رَجُلٌ آدَمُ كَثِيرُ الشَّعْرِ لَوْ كَانَ عَلَيْهِ قَمِيصَانِ لَنَفَذَ شَعْرُهُ دُونَ الْقَمِيصِ وَإِذَا هُوَ يَقُولُ : يَزْعُمُ النَّاسُ أَنِّي أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنْ هذَا بَلْ هذَا أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنِّي قَالَ قُلْتُ : يَاجِبْرِيلُ مَنْ هذَا ؟ قَالَ : هذَا أَخُوكَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ قَوْمِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ ، ثُمَّ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَإِذَا أَنَا بِأَبِينَا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمنِ سَانِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ كَأَحْسَنِ الرِّجَالِ قُلْتُ : يَاجِبْرِيلُ مَنْ هذَا ؟ قَالَ : هذَا أَبُوكَ خَلِيلُ الرَّحْمنِ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ قَوْمِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ وَإِذَا أَنَا بِأُمَّتِي شَطْرَيْنِ شَطْرٌ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ بِيضٌ كَأَنَّهَا الْقَرَاطِيسُ ، وَشَطْرٌ عَلَيْهِمْ

ثِيَابٌ رُمْدٌ ، قَالَ : فَدَخَلْتُ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ ، وَدَخَلَ مَعِي الَّذِينَ عَلَيْهِمُ الثِّيَابُ الْبِيضُ ، وَحُجِبَ الآخَرُونَ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ رُمْدٌ وَهُمْ عَلَى خَيْرٍ ، وَصَلَّيْتُ أَنَا وَمَنْ مَعِي فِي الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ، ثُمَّ خَرَجْتُ أَنَا وَمَنْ مَعِي ، قَالَ : وَالْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ فِيهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ رُفِعْتُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى فَإِذَا كُلُّ وَرَقَةٍ مِنْهَا تَكَادُ تُغَطِّي هَذِهِ الأُمَّةَ ، وَإِذَا فِيهَا عَيْنٌ تَجْرِي يُقَالُ لَهَا سَلْسَبِيلٌ فَيَشُقُّ مِنْهَا نَهْرَانِ : أَحَدُهُمَا الْكَوْثَرُ ، وَالآخَرُ يُقَالُ لَهُ نَهْرُ الرَّحْمَةِ ، فَاغْتَسَلْتُ فِيهِ فَغُفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي وَمَا تَأَخَّرَ ، ثُمَّ إِنِّي رُفِعْتُ إِلَى الْجَنَّةِ فَاسْتَقْبَلَتْنِي جَارِيَةٌ فَقُلْتُ : لِمَنْ أَنْتِ يَا جَارِيَةُ ؟ قَالَتْ : لِزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَإِذَا بِأَنْهَارٍ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ، وَأَنْهَارٍ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، وَأَنْهَارٍ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ، وَأَنْهَارٍ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ، وَإِذَا رُمَّانُهَا كَأَنَّهَا الدِّلَاءُ عِظَمًا ، وَإِذَا بِطَيْرِهَا كَأَنَّهَا بُخْتِيُّكُمْ هَذِهِ ، فَقَالَ عِنْدَهَا صلى الله عليه وسلم : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَدَّ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، قَالَ : ثُمَّ عُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ فَإِذَا فِيهَا غَضَبُ اللَّهِ وَرِجْزُهُ وَنِقْمَتُهُ لَوْ طُرِحَتْ فِيهَا الْحِجَارَةُ وَالْحَدِيدُ لَأَكَلَتْهَا ثُمَّ أُغْلِقَتْ دُونِي ، ثُمَّ رُفِعْتُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى فَتَغَشَّانِي فَكَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ قَابُ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ، قَالَ : وَنَزَلَ عَلَى كُلِّ وَرَقَةٍ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَفُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ ، فَذَكَرَ مُرَاجَعَتَهُ بَيْنَ مُوسَى وَرَبِّهِ ، ثُمَّ أَصْبَحَ بِمَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِالْعَجَائِبِ ، إِنِّي أَتَيْتُ الْبَارِحَةَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَعُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ وَرَأَيْتُ كَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ يَعْنِي ابْنَ هِشَامٍ : أَلَا تَعْجَبُونَ مِمَّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ ؟ يَزْعُمُ أَنَّهُ أَتَى الْبَارِحَةَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ثُمَّ أَصْبَحَ فِينَا وَأَحَدُنَا يَضْرِبُ مَطِيَّتَهُ مُصْعَدَهُ شَهْرًا وَمُنْقَلَبَهُ شَهْرًا فَهَذَا مَسِيرَةُ شَهْرَيْنِ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ، قَالَ :

فأخبرهم بعير لقريش لمَّا كانت في مَصعدي رأيتها في مكان كذا وكذا ، وأنها نفرتْ فلما رجعتُ رأيتها عند العَقَبة ، وأخبرهم بكلّ رجلٍ وبعيره كذا وكذا ، ومتاعه كذا ، فقال رجلٌ من المشركين : أنا أعلمُ الناس ببيت المقدس ، وكيف بناؤه ، وكيف هيئته ، وكيف قُربه من الجبل ، قال : فرُفع لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيتُ المقدس من مقعده فنظر إليه كنظر أحدنا إلى بيته ، بناؤه كذا وكذا ، وهيئته كذا وكذا ، وقُرْبه من الجبل كذا وكذا ، فقال : صدقتَ .

وقال البيهقي : حدَّثنا أبو سعد الماليني حدَّثنا ابنُ عَدِيّ حدَّثنا محمدبنُ الحسن السَّكُوني حدَّثنا علي بن سَهْل حدَّثنا حجاج حدَّثنا أبو جعفر الرازي عن الرَّبيع ابن أنس عن أبي العالية الرِّياحي أو غيره عن أبي هريرة قال : جاء جبريلُ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ومعه ميكائيلُ فقال جبريل لميكائيلَ : ائتني بطَسْتٍ من ماء زمزم كيما أُطهِّرَ قلبَه ، وأشرحَ له صدره ، قال : فشقَّ عنه بطنَه فغسله ثلاثَ مرَّاتٍ ، واختلف إليه ميكائيلُ بثلاث طِساسٍ من ماء زمزم ، فشرح صدره ، ونزع ما كان فيه من غِلٍّ ، وملأه حلماً وإيماناً ويقيناً وإسلاماً ، وختم بين كَتِفَيْه بخاتم النبُوَّة ، ثمَّ أتاه بفرسٍ فحُمل عليه ، كلُّ خطوةٍ منه مُنتهى بصره أو أقصى بصره فسار وسار معه جبريل فأتى على قومٍ يزرعون في يومٍ ويحصُدون في يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان فقال : يا جبريل مَن هؤلاء ؟ قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تُضاعف لهم الحسناتُ بسبعمائة ضِعف وما أنفقوا من شيءٍ فهو يخلفه ، ثم أتى على قومٍ تُرْضَخ رُؤوسهم بالصخر كلما رُضِخَت عادت كما كانت ولا يُفتَّرُ عنهم من ذلك شيءٌ قال : يا جبريل : مَن هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين تثاقلت رُؤوسهم عن الصلاة ، ثم أتى على قومٍ على أقبالهم رِقاعٌ ، وعلى أدبارهم رِقاعٌ ، يَسْرَحون كما تَسرَح الإبلُ والغنمُ ، ويأكلون

الضَّرِيعَ والزَّقُّومَ ورَضْفَ جهنم وحجارتها قال : ما هؤلاء يا جبريلُ ؟ قال : هؤلاء الذين لا يؤدُّون صدقاتِ أموالهم ، وما ظلمهمُ اللهُ شيئاً ، وما اللهُ بظلَّامٍ للعبيد ، ثمَّ أتى على قومٍ بين أيديهم لحمٌ نضيجٌ في قُدُورٍ ، ولحمٌ آخرُ نيِّءٌ خبيثٌ فجعلوا يأكلون من النَّيِّءِ الخبيث ويَدَعون النَّضيجَ الطَّيِّبَ ، قال : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : الرجل من أُمتك يقوم من عند امرأته حلالاً فيأتي المرأةَ الخبيثةَ فيبيتُ معها حتى يصبح ، والمرأةُ تقومُ من عند زوجها حلالاً طيباً فتأتي الرَّجلَ الخبيث فتبيتُ عنده حتى تصبح ، ثم أتى على خشبةٍ في الطريق لا يمرُّ بها ثوبٌ إلاَّ شقَّتْه ، ولا شيءٌ إلاَّ خرقتْه ، قال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا مَثَلُ أقوامٍ من أُمتك يقعُدون على الطَّريق فيقطعونه ثم تلا : (وَلاَ تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ) ، ثمَّ أتى على رجل قد جمع حزمةً عظيمةً لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل من أُمتك يكون عليه أماناتُ النَّاس لا يقدِر على أدائها ، وهو يريد أن يحمل عليها ، ثم أتى على قومٍ تُقْرَضُ ألسنتُهم وشفاهُهم بمقاريضَ من حديدٍ كلما قُرِضَت عادت كما كانت لا يُفتَّر عنهم من ذلك شيءٌ قال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : خطباءُ الفتنة ، ثم أتى على حجرٍ صغيرٍ يخرج منه ثورٌ عظيمٌ فيريد الثَّورُ أن يدخل من حيث خرج فلا يستطيعُ ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة فيندم عليها فلا يستطيع أن يردَّها ، ثمَّ أتى على وادٍ فوجد ريحاً طيبةً باردةً وريحَ مِسكٍ ، وسمع صوتاً فقال : يا جبريل ما هذه الريحُ الطيبة الباردة وريحُ المسك . وما هذا الصوتُ ؟ قال : هذا صوتُ الجنة تقول : يا ربِّ ائتني بما وعدتني فقد كثُرت غُرَفي وإستبرَقي وحريري وسُندُسي وعبقري ومَرجاني وفضَّتي وذهبي وأكوابي وصحافي وأباريقي وعسلي ومائي وخمري ولبني ، فأتني ما وعدتني فقال : لكِ كلُّ مُسلِمٍ ومسلمةٍ ، ومؤمنٍ ومؤمنة ، ومن آمن بي وبرسُلي وعمِل صالحاً

ولم يُشرِكْ بي ، ولم يتّخذ من دُوني أنداداً ، ومن خشِيَني فهو آمِنٌ ، ومن سألني أعطيتُهُ ، ومَن أقرضني جزَيته ، ومَن توكّل عليّ كفيتُهُ ، إني أنا الله لا إلهَ إلاّ أنا لا أُخلفُ الميعادَ ، وقد أفلح المؤمنون ، وتبارك اللهُ أحسنُ الخالقين ، قالتْ : رضيتُ ، ثم أتى على وادٍ فسمع صوتاً منكراً ووجد ريحاً منتنةً فقال : ما هذه الرّيحُ يا جبريلُ ، وما هذا الصوتُ ؟ قال : هذا صوتُ جهنم تقول : يا ربّ ائتني بما وعدتني ، فقد كثُرتْ سلاسلي وأغلالي وسعيري وحَميمي وضَريعي وغسّاقي وعذابي ، وقد بعُد قعري ، واشتدّ حرّي ، فأْتني ما وعدتني ، قال : لكِ كلُّ مُشركٍ ومشركةٍ ، وخبيثٍ وخبيثة ، وكلُّ جبّارٍ لا يؤمنُ بيوم الحساب ، قالت : رضيتُ ، قال : ثمّ سار حتى أتى بيتَ المقدس فنزل فربط فرسه إلى صخرة ثم دخل فصلى مع الملائكة ، فلمّا قُضيتِ الصلاةُ قالوا : يا جبريلُ مَن هذا معك ؟ قال : هذا محمدٌ رسول الله خاتم النّبيين ، قالوا : وقد أُرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حيّاه الله من أخٍ وخليفةٍ ، فنِعْمَ الأخُ ونِعْمَ الخليفةُ ونِعْمَ المجيءُ جاءَ ، ثمّ لقي أرواحَ الأنبياءِ فأثنوا على ربهم ، فقال إبراهيم عليه السّلام : الحمد لله الّذي اتّخذني خليلاً ، وأعطاني مُلكاً عظيماً ، وجعلني أُمّةً قانتاً يؤتمّ بي وأنقذني من النّار وجعلها عليّ برداً وسلاماً . ثمّ إنّ موسى عليه السّلامُ أثنى على ربه فقال : الحمد لله الّذي كلّمني تكليماً واصطفاني وأنزل عليّ التّوراة وجعل هلاكَ فرعون ونجاةَ بني إسرائيل على يدي ، وجعل من أُمتي قوماً يهدون بالحقّ وبه يَعدِلون . ثم إنّ داود عليه السّلام أثنى على ربه فقال . الحمد لله الذي جعل لي ملكاً عظيماً وعلّمني الزّبور ، وألان لي الحديد ، وسخّر لي الجبال يُسبّحن معي والطّير ، وآتاني الحكمةَ وفَصْلَ الخِطاب . ثم إنّ سليمان عليه السّلام أثنى على ربه فقال : الحمد لله الّذي سخّر لي الريحَ ، وسخّر لي الشّياطين يعملون ما شِئتُ مِن محاريبَ وتماثيلَ وجِفانٍ كالجوابِ وقُدورٍ راسياتٍ وعلّمني منطِقَ

الطَّيرِ ، وآتاني من كلِّ شيءٍ فضلاً ، وسخَّر لي جنودَ الشياطينِ والإنسِ والطَّيرِ ، وفضَّلني علَى كثيرٍ من عبادِهِ المؤمنينَ ، وآتاني ملكاً عظيماً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي ، وجعل مُلكي مُلكاً طيباً ليس فيه حسابٌ ثم إنَّ عيسى عليه السَّلامُ أثنى علَى ربه فقال : الحمد لله الذي جعلني كلمتَه وجعل مثَلي مثَلَ آدمَ خلقه من تُرابٍ ثم قال له كُنْ فيكونُ ، وعلمني الكتابَ والحكمةَ والتوراةَ والإنجيلَ ، وجعلني أخلُقُ منَ الطِّينِ كهيئةِ الطَّيرِ فأنفخُ فيهِ فيكونُ طيراً بإذنِ اللهِ ، وجعلني أبرِئُ الأكمهَ والأبرصَ وأحيي الموتَى بإذنِ اللهِ ، ورفعني وطهَّرَني وأعاذَني وأمي منَ الشيطانِ الرَّجيمِ فلم يكنْ للشيطان علينا سبيلٌ .
قال : ثمَّ إنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم أثنى علَى ربه فقال : كلكم أثنى علَى ربه وإني مُثنٍ علَى ربي الحمد لله الذي أرسلني رحمةً للعالمين ، وكافةً للناس بشيراً ونذيراً ، وأنزل عليَّ الفرقان فيه بيانٌ لكلِّ شيءٍ ، وجعل أمتي خيرَ أمةٍ أُخرجت للناس ، وجعل أمتي أمةً وسطاً ، وجعل أمتي هم الأوَّلين وهم الآخِرين ، وشرح لي صدري ، ووضع عني وِزري ، ورفع لي ذِكري ، وجعلني فاتحاً وخاتماً ، قال أبو جعفر الرازي : خاتمٌ للنبوَّة فاتحٌ للشفاعة يومَ القيامة ، ثمَّ أُتي بآنيةٍ ثلاثةٍ مُغطَّاةٍ أفواهُها ، فأُتيَ بإناءٍ منها فيه ماءٌ فقيل : اشرب منه فشربَ منه يسيراً ، ثمَّ دُفع إليه إناءٌ آخرُ فيه لبنٌ فقيل له : اشرب منه فشرب حتى رَوِي ، ثم دُفع إليه إناءٌ آخرُ فيه خمرٌ فقيل له : اشرب ، فقال : لا أريده قد رَوِيتُ ، فقال له جبريلُ : أما إنها ستحَرَّمُ علَى أمتك ، ولو شربتَ منها لم يَتَبعك من أمتك إلاَّ قليلٌ ، ثم صعِد به إلى السماءِ الدُّنيا فاستفتح قيل : مَن هذا ؟ قال : جبريلُ ، قيل : ومَن معك ؟ قال : محمدٌ ، قالوا : وقد أُرسِلَ إليهِ ؟ قال : نعم ، قالوا : حيَّاهُ اللهُ من أخٍ وخليفةٍ فنِعمَ الأخُ ونِعمَ الخليفة ونِعمَ المجيءُ جاءَ فدخل فإذا هو برجلٍ تامِّ الخَلْق لم ينقُصْ من خلقه شيءٌ كما ينقصُ من خلق

النّاس ، على يمينه بابٌ يخرج منه ريحٌ طيبةٌ ، وعلى شماله بابٌ يخرج منه ريحٌ خبيثة إذا نظر إلى البابِ الّذي عن يمينه ضحِك واستبشر ، وإذا نظر إلى البابِ الّذي عن يساره بكى وحزن ، فقال : من هذا الشيخ ؟ وما هذانِ البابان ؟ قال : هذا أبوك آدم ، وهذا البابُ الّذي عن يمينه بابُ الجنة إذا نظر إلى مَن يدخله من ذُرّيته ضحِك واستبشر ، وهذا البابُ الّذي عن شِماله بابُ جهنم إذا نظر إلى مَن يدخله من ذُرّيته بكى وحزن ، ثم صَعِد به جبريل إلى السماء الثانية فاستفتح فقيل : مَن هذا ؟ فقال : جبريل ، قالوا : ومَن معك ؟ قال : محمدٌ رسول الله ، قالوا : وقد أُرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حيّاه الله من أخٍ وخليفة فنعم الأخُ ونعم الخليفة ونعم المجيُّ جاء ، فدخل فإذا هو بشابّين ، فقال : ياجبريل مَن هذان الشابّان ؟ قال : عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ابنا الخالة ، فصعِد به إلى السماء الثالثة فذكر مثل ذلك وقولهم له : نِعْمَ الأخ ونعمَ الخليفة ، وأنه لقي في الثالثة يوسف ، والرابعةِ إدريس ، والخامسةِ هارون ، والسادسةِ موسى ، ثم صَعِد إلى السماء السابعة فإذا برجلٍ أشمطَ جالسٍ عند باب الجنة على كرسي وعنده قومٌ جلوسٌ ، بيضُ الوجوه أمثال القراطيس ، وقومٌ في ألوانهم شيء فدخلوا نهراً فاغتسلوا فيه فخرجوا قد خلَص من ألوانهم شيء ، ثم دخلوا نهراً فاغتسلوا فيه فخرجوا قد خلص من ألوانهم شيء ، ثم دخلوا نهراً آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا مثل ألوان أصحابهم فقال : يا جبريلُ مَن هذا الأشمط ؟ ثم مَن هؤلاء البيضُ الوجوه ؟ ومَن هؤلاء الذين في ألوانهم شيء ؟ وماهذه الأنهار ؟ قال : هذا أبوك إبراهيمُ أوّلُ مَن شمِطَ على الأرض ، وهؤلاء البيضُ الوجوه قومٌ لم يلبسوا إيمانهم بظلمٍ ، وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء فقومٌ خلطوا عملاً صالحاً وآخرَ سيئاً فتابوا فتاب الله عليهم ، وأما الأنهارُ فأوّلها رحمةُ الله ، والثاني نعمةُ الله ، والثالث سقاهم ربهم شراباً طهوراً ، ثم انتهى إلى السدرة فقيل له : هذه السدرةُ ينتهي إليها كلُّ أحدٍ خلا من أمتك على

سبيلك فإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهارٌ من ماءٍ غيرِ آسنٍ ، وأنهارٌ من لبنٍ لم يتغيّرْ طعمُهُ ، وأنهارٌ من خمرٍ لذّةٍ للشاربين ، وأنهارٌ من عسلٍ مصفى وهي شجرة يسير الراكبُ في ظلها سبعين عاماً لا يقطعها ، والورقةُ منها مغطيةٌ للأمة كلها فغشيها نورُ الخلائقِ وغشيتها الملائكة أمثالَ الغربان حين يقعن على الشجر فكلّمه تعالى عند ذلك فقال له : سَلْ ، فقال : إنك اتخذتَ إبراهيمَ خليلاً ، وأعطيته ملكاً عظيماً ، وكلّمتَ موسى تكليماً ، وأعطيتَ داودَ ملكاً عظيما ، وألنتَ له الحديد ، وسخّرتَ له الجبالَ ، وأعطيتَ سليمان ملكاً عظيماً ، وسخّرتَ له الجنَّ والإنسَ والشياطينَ ، وسخّرتَ له الرياحَ ، وأعطيته ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدِه ، وعلّمتَ عيسى التوراةَ والإنجيلَ ، وجعلته يُبرئ الأكمهَ والأبرصَ ويحيي الموتى بإذنك ، وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان عليهما سبيلٌ ، فقال له ربُّه : قد اتخذتُك حبيباً وهو مكتوبٌ في التوراة محمدٌ حبيبُ الرحمن ، وأرسلتُك إلى الناس كافةً بشيراً ونذيراً ، وشرحتُ لك صدرك ، ووضعتُ عنك وزرَك ، ورفعتُ لك ذكرك فلا أُذكر إلا ذُكرتَ معي ، وجعلتُ أمتك خيرَ أمةٍ أُخرجتْ للناس ، وجعلتُ أمتك أمةً وسطاً ، وجعلتُ أمتك هم الأولين وهم الآخرين ، وجعلتُ أمتك لا تجوز لهم خطبةٌ حتى يشهدوا أنك عبدِي ورسولي ، وجعلتُ من أمتك أقواماً قلوبهم أناجيلهم ، وجعلتك أولَ النبيين خلقاً ، وآخرهم بعثاً وأولهم يُقضى له ، وأعطيتُك سبعاً من المثاني لم أعطها نبياً قبلك ، وأعطيتك خواتيمَ سورة البقرة من كنزٍ تحت العرش لم أعطها نبياً قبلك ، وأعطيتك الكوثر وأعطيتُك ثمانية أسهم : الإسلام ، والهجرة ، والجهاد ، والصلاة ، والصدقة ، وصوم رمضان ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وجعلتك فاتحاً وخاتماً . وفرض عليه خمسينَ صلاةً ، وذكر مراجعته بين موسى وربه ، وفي آخره : وكان موسى من

أشدهم عليه حين مرّ به ، وخيرهم له حين رجع إليه ، أخرجه الحاكم وغيرُه ، ورجالُه مُوثّقون إلاَّ أنَّ أبا جعفر الرّازي وثّقه بعضهم وضعّفه بعضهم ، وقال أبو زُرْعة: يَهِم ، وقال الحافظ بنُ كثير: الأظهر أنه سيّئ الحفظ ، قال : وهذا الحديث في بعض ألفاظه غرابةٌ ونَكارةٌ شديدةٌ ، وفيه شيءٌ من حديث المنام الطَّويل الَّذي عند البخاري من رِواية سَمُرَة ، والأشبهُ أنه مجموعٌ من أحاديثَ شتَّى ، أو مِن مَنام وقِصَّةٍ أُخرى غير الإسراء .

أخبرني أبو الفضل ابنُ عمر بقراءتي عليه أخبرنا أبو الفرج بنُ حمّاد أخبرنا الحافظ قُطْب الدّين الحلبي أخبرنا العزّ الحرّاني أخبرنا أبو الفرج بن كليب أخبرنا علي بن بَيَان أخبرنا محمد بنُ مَخْلَد أخبرنا أبو علي الصَّفَّار أخبرنا الحسن بنُ عرفة حدّثنا مروان بنُ معاوية الفزاري عن قنَانِ بن عبد الله النَّهمي حدّثنا أبو ظَبْيان الجَنْبي حدّثنا أبو عُبَيْدة يعني عن أبيه عبد الله بنِ مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : أتاني جبريلُ بدابَّةٍ فوقَ الحِمار ودُونَ البَغْلِ فحملني عَلَيْها ثم انْطَلَق يَهْوِي بِنا كُلَّما صَعِدَ عقبةً استوتْ رِجْلاهُ مع يَدَيْهِ ، وإذا هَبطَ استوتْ يداهُ مع رِجْلَيْهِ حتَّى مرَرْنا بِرَجلٍ طُوالٍ سَبْطٍ آدَمَ كأنَّهُ مِنْ رِجالِ أَزْدِشَنُوءَة وهو يقولُ ويرفعُ صوتَه : أكرمْتَه وفضّلتَه ، قال : فدَفَعْنا إلَيْهِ فسلَّمْنا فردَّ السَّلامَ وقالَ : مَنْ هذا معكَ يا جبريلُ ؟ قالَ : هذا أحمدُ قالَ : مرْحَباً بالنَّبيِّ الأُمّيِّ العربيِّ الَّذي بلَّغ رِسالَةَ رَبِّهِ ونَصَحَ لأُمَّتِهِ ، ثُمَّ اندفعنا فقلْتُ : مَنْ هذا يا جبريلُ ؟ قالَ : هذا موسى ابنُ عِمْرانَ ، قال قلْتُ: ومَنْ يعاتِبُ ؟ قالَ : يعاتِبُ ربَّهُ فيكَ ، قلْتُ : ويرفعُ صوتَهُ على ربِّهِ ؟ قالَ : إنَّ اللهَ قَدْ عرفَ له حِدَّتَهُ ، ثُمَّ اندفعنا حتَّى مرَرْنا بِشجرةٍ كأنَّ ثمرَها السُّرُجِ تحتَها شيخٌ وعِيالُهُ فقالَ لِي جبريلُ : اعْمَدْ إلى أبيكَ إبْراهيمَ فدَفعنا

إِلَيهِ فَسَلَّمنَا عَلَيهِ فَرَدَّ السَّلَامَ ، فَقَالَ إِبرَاهِيمُ : يَا جِبرِيلُ مَن هٰذَا مَعَكَ ؟ قَالَ : هٰذَا ٱبنُكَ أَحمَدُ ، فقال : مَرحَبًا بِٱلنَّبِيِّ ٱلأُمِّيِّ ٱلَّذِي بَلَّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَاقٍ رَبَّكَ ٱللَّيلَةَ ، وَإِنَّ أُمَّتَكَ آخِرُ ٱلأُمَمِ وَأَضعَفُهُم ، فَإِنِ ٱستَطَعتَ أَن تَكُونَ حَاجَتُكَ أَو جُلُّهَا فِي أُمَّتِكَ فَٱفعَل ، ثُمَّ ٱندَفَعنَا حَتَّى أَتَينَا إِلَى ٱلمَسجِدِ ٱلأَقصَى فَنَزَلتُ فَرَبَطتُ ٱلدَّابَّةَ بِٱلحَلقَةِ ٱلَّتِي كَانَتِ ٱلأَنبِيَاءُ تَربِطُ بِهَا ، ثُمَّ دَخَلتُ ٱلمَسجِدَ فَعَرَفتُ ٱلنَّبِيِّينَ بَينَ قَائِمٍ وَرَاكِعٍ وَسَاجِدٍ ، ثُمَّ أُتِيتُ بِكَأسَينِ مِن عَسَلٍ وَلَبَنٍ فَأَخَذتُ ٱللَّبَنَ فَشَرِبتُهُ فَضَرَبَ جِبرِيلُ مَنكِبِي فَقَالَ : أَصَبتَ ٱلفِطرَةَ ، ثُمَّ أُقِيمَتِ ٱلصَّلَاةُ فَأَمَمتُهُم ثُمَّ ٱنصَرَفنَا فَأَقبَلنَا ، قال ابنُ كَثِيرٍ : إسنادُه غريبٌ وفيه من الغرابة أنه اجتمع بالأنبياء قبلَ دُخوله المسجدَ الأقصى ، والصحيحُ أنه إنما اجتمع بهم في السموات ، ثم نَزَل إلى بيتِ المقدس ثانياً وهم معه وصلى بهم فيه ، ثم ركب البُراق ورجع إلى مكة .

وقال محمد بنُ إسحاق في مَغَازيه ، وحدَّثني محمد بن السائب الكَلبي عن أبي صالح عن أمّ هانئ بنت أبي طالب قالت : ما أُسرِيَ برسول الله صلى الله عليه وسلم إلاّ وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة فصلى العشاء الآخرة ، ثم نام ونمنا ، فلما كان قُبيل الفجر أهبّنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلمّا صلى الصبح وصلّينا معه قال : يَا أُمَّ هانئ لَقَد صَلَّيتُ مَعَكُمُ العِشَاءَ الآخِرَةَ كَمَا رَأَيتِ بِهٰذَا الوَادِي ، ثُمَّ جِئتُ بَيتَ المَقدِسِ فَصَلَّيتُ فِيهِ ، ثُمَّ صَلَّيتُ صَلَاةَ الغَدَاةِ مَعَكُمُ الآنَ كَمَا تَرَينَ . الكلبي متروكٌ ساقط .

وقال الطَّبَراني : حدَّثنا عبدالله بن سعيد بن يحيى الرَّقّي حدَّثنا أحمد بن أبي شَيبة الرُّهَاوي حدَّثنا أبو قتادة الحَرَّاني حدَّثنا سفيان الثَّوري عن هشام بن عُروة

عن أبيه عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : لَمَّا كَانَتْ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَرُفِعْتُ عَلَى شَجَرَةٍ مِنْ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ لَمْ أَرَ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً هِيَ أَحْسَنُ مِنْهَا حُسْناً ، وَلَا أَبْيَضَ مِنْهَا وَرَقَةً ، وَلَا أَطْيَبَ مِنْهَا ثَمَرَةً فَتَنَاوَلْتُ ثَمَرَةً مِنْ ثَمَرَاتِهَا فَأَكَلْتُهَا فَصَارَتْ نُطْفَةً فِي صُلْبِي فَلَمَّا هَبَطْتُ إِلَى الْأَرْضِ وَاقَعْتُ خَدِيجَةَ فَحَمَلَتْ بِفَاطِمَةَ ، فَإِذَا أَنَا اشْتَقْتُ إِلَى رَائِحَةِ الْجَنَّةِ شَمَمْتُ رِيحَ فَاطِمَةَ .

وقال أحمد : حدّثنا أبو النضر حدّثنا شيبان عن عاصم عن زِرّ بن حُبَيش قال : أتيتُ علي حُذيفة بن اليمان وهو يحدّث عن الإسراء وهو يقول : فانطلقا حتى أتيا بيت المقدس فلم يدخلاه ولا صلى فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ، وما زايلا البُراق حتى فتحت لهما أبوابُ السماء فرأيا الجنة والنار ووعد الآخرة ، ثم عادا عَوْدَهما على بَدْئهما ، ثم ضحك حتى بدت نواجذه وقال : تحدّثون أنه ربطه لا يفرّ منه ، وإنما سخّره له عالمُ الغيبِ والشّهادة . أخرجه الترمذيّ وصحّحه ، قال ابنُ كثير : وهذا الذي قاله حُذيفة نفيٌ ، وما أثبته غيرُه من الصّلاة في بيت المقدس وربطِ الدابّة بالحلقة مقدّمٌ عليه .

وقال أحمد : حدّثنا محمد بن جعفر ورَوْحٌ قالا : حدّثنا عوف عن قتادة ابن أوفى عن ابن عباسٍ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِيَ بِي وَأَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ فَظِعْتُ بِأَمْرِي وَعَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكَذِّبِيَّ فَقَعَدْتُ مُعْتَزِلاً حَزِيناً قالَ : فمرّ بِهِ عدوُّ اللهِ أبو جهلٍ فجاء حتى جلس إليه فقال له كالمستهزئ : هل كان من شيء ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نَعَمْ ، قال : وماهو؟ قالَ : إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ ، قال : إلى أين؟ قالَ : إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، قال : ثم أصبحتَ بين ظهرانينا ؟ قالَ : نعمْ ، فلم يرَ أنه يكذبه مخافةَ أن يجحَدَه الحديثَ إن دعَا قومه إليه قال : أرأيت إن دعوتُ قومك

أتحدثهم بما حدثتني ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، قال : فيا معشر بني كعب بن لؤي هلموا ، قال : فانقضت إليه المجالس وجاءوا حتى جلسوا إليهما قال : حدث قومك بما حدثتني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني أسري بي الليلة ، قالوا : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس ، قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : نعم ، قال : فمن بين مصفق ، ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً للكذب زعم ، قالوا : وتستطيع أن تنعت لنا المسجد ؟ وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فذهبت أنعت فما زلت أنعت حتى التبس علي بعض النعت ، قال : فجيء بالمسجد وأنا أنظر حتى وضع دون دار عقيل أو عقال فنعته وأنا أنظر إليه ، فقال القوم : أما النعت فوالله لقد أصاب .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا مكرم بن أحمد القاضي حدثنا إبراهيم بن الهيثم حدثنا محمد بن كثير الصنعاني حدثنا معمر بن راشد عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم أصبح يحدث الناس فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه .

الفصل الثاني

في حقيقته

اختُلفَ في المعراجِ والإسراءِ هل كانا في ليلةٍ واحدةٍ أم لا ، وأيهما كان قبل الآخر ، وهل كان في اليقظة أو المنام ، أو بعضه في اليقظة وبعضه في المنام ، وهل كان مرةً أو مرتينِ أو مراتٍ ، فذهب الجمهورُ من المفسرين والمحدثين والفقهاءِ والمتكلمين إلى أنهما وقعا في ليلةٍ واحدة في اليقظة وتواردت عليه ظواهرُ الأخبار الصحيحة ، وقولُه تعالى : (سبحانَ الذي أسرى بعبدِهِ) لأنَّ التسبيحَ إنما يكون عند الأمور العظام ، ولو كان مناماً لم يكن فيه كبيرُ شيء ولما بادر قريشٌ إلى إنكاره ، ولا ارتدَّ جماعة من ضعفاءِ مَن أسلم ، ولأنَّ العبد عبارةٌ عن مجموع الرُّوح والجسد ، ولو كان مناماً لم يقلْ بعبده بل بروح عبده ، وليس في العقل ما يحيلُ ذلك أيضاً ، ولأنه حُمل على البُراق والرُّوحُ لا تُحمل وإنما يحملُ البدن ، ويؤيده ما أخرجه أبو نعيم في الدلائل من حديث محمد بن كعبٍ القُرَظي في شأن أبي سفيان مع هِرَقل قال : وأبو سفيان يجتهد أن يحقر أمره ويُصغره عنده قال حتى ذكرت قوله ليلة أُسري به فقلتُ : أيها الملك ألا أخبرك خبراً تعرفُ أنه قد كذب؟ قال : وما هو؟ قلتُ : يزعُم أنه خرج من أرضنا أرضِ الحرم فجاءَ هذا مسجد إيليا ورجع إلينا تلك الليلةَ قبل الصباح ، وبِطريقُ إيليا عند رأس قيصر ، فقال بطريق إيليا : قد علمتُ تلك الليلة فنظر قيصر وقال : ما علمك بها؟ قال : إني كنتُ لا أنام

ليلةً حتى أغلقَ أبوابَ المسجد ، فلما كان تلك الليلة أُغلقتُ الأبوابَ كلّها غيرَ بابٍ واحدٍ غلبني فاستعنتُ عليه عمّالي ومَن يحضرُني كلّهم فعالجته فغلبني فلم نستطع أن نحركه كأنما نزاول به جبلاً ، فدعوتُ إليه النجاجرة فنظروا إليه فقالوا : إنّ هذا بابٌ سقط عليه البنيان ولا نستطيع أن نحركه حتى نصبحَ فننظرَ من أين أُتي ، فرجعتُ وتركتُ البابَين مفتوحَين ، فلما أصبحتُ غدوتُ عليهما فإذا الحجرُ الذي من زاوية المسجد مثقوبٌ ، وإذا فيه أثرُ ربط الدابة فقلتُ لأصحابي: ما حُبِس هذا البابُ الليلةَ إلاّ على نبيٍ ، وقد صلى الليلةَ في مسجدنا .

وذهب جماعةٌ إلى أنّ الإسراءَ كان بروحه في المنام فقد كان معاويةُ يقولُ إذا سئل عن الإسراء : كانت رؤيا من الله صادقة . وقالت عائشة : ما فقدتُ جسدَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم وإنما أُسري بروحه . رواهما ابن إسحاق في السيرة . ولقوله تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ) والرؤيا إنما تُطلَق على ما كان مناماً . ولظاهر ما في بعض الأحاديث السابقة من قوله : بينا أنا نائم ، وفي بعض الطرُق فاستيقظتُ وأنا بالمسجد الحرام .

وأُجيب عن الآية بأن قوله: (فِتْنَةً لِلنَّاسِ) يريد أنها رؤيا عين، إذ ليس في الحلم فتنة ، ولا يكذب به أحد . وقيل : إنّ الآية نزلت في غير قصة الإسراء .

وعن قوله بينا أنا نائمٌ بأن أوّلَ مجيء الملَك إليه وهو نائمٌ فأيقظه لا أنه استمرّ نائماً ، وأما قوله: فاستيقظتُ وأنا بالمسجد الحرام فالمراد به الإفاقة البشرية من الغمرة الملكية على أن الحديث الذي ورد فيه ذكر النوم موهنٌ ، فإنّ العلماء اتفقوا على أنّ شريكاً راويه اضطرب فيه وساء حفظه ، وزاد ونقص، وقدّم وأخّر .

وأما قول عائشة : ما فقدت جسده فعائشة لم تكن حينئذٍ زوجه بل لعلها لم تكن وُلدت بعدُ على الخلاف في الإسراء متى كان ، فإنها كانت في الهجرة بنت ثمانية أعوام ، وسيأتي تاريخ الإسراء بأقواله، فإذا لم تشاهد ذلك دلّ على

أنها حدثت به عن غيرها ، فلم يرجح خبرها مع قول أم هانئ بخلافه على أن عائشة أنكرت أن يكون صلى الله عليه وسلم رأى ربه ، فدل على أن الإسراء كان يقظة ، إذ لو كان مناماً لم تنكره .

وذهب بعضهم إلى أن الإسراء كان في اليقظة ، والمعراج كان في المنام ، ولذلك لما أخبر به قريشاً كذبوه في الإسراء واستبعدوا وقوعه ، ولم يتعرضوا للمعراج ، ولأن الإسراء ذكر في القرآن في معرض الامتنان ، فلو كان متصلاً باليقظة إلى الملإ الأعلى لما اقتصر على قوله إلى المسجد الأقصى مع كون شأنه أعجب وأغرب .

وذهب بعضهم إلى أن الإسراء كان في ليلة والمعراج في ليلة متمسكاً بما في بعض الأحاديث من ترك ذكر الإسراء ، ورُدّ بأنه محمول على أن بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الآخر ، وتمسك أيضاً بما رواه ابن سعد أنه كان عليه السلام يسأل ربه أن يريه الجنة والنار ، فلما كانت ليلة السبت لسبع عشرة خلت من رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً ورسول الله صلى الله عليه وسلم نائم في بيته أتاه ميكائيل وجبريل فقالا : انطلق إلى ما سألت الله فانطلقا به إلى ما بين المقام وزمزم فأتي بالمعراج فإذا هو أحسن شيء منظراً فعرجا به إلى السموات ، الحديث .

وذهب آخرون إلى أن ذلك كله وقع مرتين مرة في المنام توطئة وتمهيداً وتسهيلاً عليه كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة ليسهل عليه أمر النبوة ، ومرة ثانية في اليقظة ، قالوا : وبذلك يجمع بين الأحاديث ، وممن اختار هذا القول أبو نصر القشيري وابن العربي والسهيلي .

وجوّز بعض أصحاب هذا القول أن تكون قصة المنام وقعت قبل البعث لأجل ما في رواية شريك وذلك قبل أن يوحى إليه .

وقيل: إن الإسراء وقع مرتين: مرة على انفراده، ومرة مضموماً إليه المعراج، وكلاهما في اليقظة، والمعراج أيضاً وقع مرتين مرة وقع في المنام على انفراده توطئة، ومرة في اليقظة مضموماً إلى الإسراء.

وذهب الإمام أبو شامة إلى وقوع المعراج مراراً، واستند إلى حديث أنس الذي أخرجه البزار السابق.

قال شيخ الإسلام ابن حجر، وتعدد مثل تلك القصة التي فيه لا تستبعد وإنما المستبعد وقوع التعدد الذي في قصة المعراج التي وقع فيها سؤاله عن كل نبي، وسؤال أهل كل باب سماء هل بعث إليه وفرض الصلوات وغير ذلك فإن تعدد ذلك في اليقظة لا يتجه، ولا يبعد وقوع ذلك كله في المنام توطئة، ثم في اليقظة على وفقه.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: كان الإسراء في النوم واليقظة، وقع بمكة والمدينة، قال شيخ الإسلام ابن حجر: وهو غريب إلا أن يريد تخصيص المدينة بالنوم، ويكون في كلامه لف ونشر غير مرتب، ويكون الإسراء الذي اتصل به المعراج وفرضت فيه الصلاة في اليقظة بمكة، والآخر في المنام بالمدينة. قال: وينبغي أن يزاد فيه أن الإسراء في المنام تكرر في المدينة، انتهى.

الفصل الثالث

في تاريخه

وهو قسمان : الأول الزماني فقيل : كان قبل البعثة وهو شاذ ، وسبق تأويله ولعل قائله تمسك بحديث الطبراني السابق فإنه صرح فيه أنه قبل ولادة فاطمة وهي وُلدت قبل النبوة بسبع سنين وشيء ، لكن الحديث ضعيف ، والأكثر أنه بعدها ، ثم اختلف فقيل قبل الهجرة بسنة قاله ابنُ مسعود وجزم به النووي ، وقيل قبلها بثمانية أشهر ، حكاه ابن الجوزي ، وقيل بستة أشهر ، حكاه أبو الربيع بنُ سالم ، وقيل بأحد عشر شهراً ، قاله إبراهيمُ الحربي ورجحه ابنُ المنيِّر ، وقيل بخمسة عشر شهراً ، حكاه ابن فارس ، وقيل بسبعة عشر ، قاله السدي وقيل بثمانية عشر ، حكاه ابنُ عبد البر ، وقيل بعشرين وقيل بثلاث سنين ، حكاه ابنُ الأثير وقال الزهري بخمسٍ ، حكاه عنه القاضي عياض ورجحه بالاتفاق على أن خديجة صلّت معه بعد فرض الصلاة ، وأنها ماتت قبل الهجرة بثلاث أو خمس ولا خلاف أن فرضها ليلة الإسراء ، وأجيب بأن الصلاة التي صلّتها معه هي التي كانت أولَ البعثة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشيّ ، وقيل كان بعد البعثة بخمس سنين ، وقيل بخمسة عشر شهراً ، وقيل بعام ونصف .

وأما الشهر الذي كان فيه فالذي رجّحه ابنُ المنيِّر على قوله في السنة ربيعٌ الآخر وجزم به النووي في شرح مسلم ، وعلى القول الأول في ربيع الأول وجزم به النووي في فتاويه ، وقيل : في رجب وجزم به في الروضة ، وقال الواقدي : في رمضان ، والماوردي : في شوال ، لكن المشهور أنه في رجب .

وأما تعيين تلك اللَّيلة من الشهر فعيَّنها ابن سعد ليلة السبت لسبع عشرة من رمضان ، وقال ابن المنير كالحربي : إنها ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر ، وبذلك رجح القول بأنه في ربيع الآخر قبل الهجرة بأحد عشر شهراً لأنه أحاط بتفصيل القضية وحرَّرها بخلاف غيره قال : أعني ابن المنيِّر ، ويمكن أن يعين اليوم الذي أسفرت عنه هذه الليلة ، ويكون يوم الاثنين استقراءً من تاريخ الهجرة ، فإنها على الأصح كانت يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول ، وإذا كان الثاني عشر يوم الاثنين فاوله الخميس قطعاً ، وإذا كان أوَّله الخميس فأوَّلُ ربيع الأول من السنة التي قبلها وهي التي فيها الإسراء أي على ما رجَّحه إما السبت أو الأحد أو الاثنين لأنَّ كلَّ يومَين متقابلَين من سنتَين متواليتَين بينهما ثلاثة أو أربعة أو خمسة ، ولهذا تكون الوقفة من كلّ سنة خامسَ يومٍ من التي قبلها ، أو سادسه أو سابعه ، وأعدل الاحتمالات الأوَّل فالجمعة تعقبها الثلاثاء ، والاثنين تعقبها الجمعة ، وقد يكون بخلاف ذلك بحسب توالي التمام والنقصان في الشهور فتُبنى على الاقل الاغلب فيكون أوَّلُ ربيع الأوَّل من سنة الإسراء الاثنين ، ويكون أوَّلُ ربيع الآخر وهو شهر الإسراء الأربعاء بفرض ربيع الأوَّل تامًّا ، وحينئذٍ فالسابع والعشرون منه الاثنين وهو اليوم الذي أسفرت ليلة الإسراء عنه إن شاء الله ، وحينئذٍ يوافق كون مولده يوم الاثنين ومبعثه يوم الاثنين وكذا هجرته ووفاته ، فإنَّ هذه الخمسة أطوارُ الانتقالات النبويةِ واتفق على أربعة منها أنها يوم الاثنين ، فيقرب جدًّا في الخامس أن يكون أسوتها ، ويكون يوم الاثنين في حقه صلى الله عليه وسلم كيوم الجمعة في حق آدم عليه السلام فإنه فيه خلق ، وفيه نزل إلى الأرض ، وفيه تِيبَ عليه ، وفيه مات ، هذا كلامُ ابنِ المنيِّرِ ، ثمَّ قال : وقد ورد أنها كانت ليلة الجمعة ، وهذا نقلٌ محضٌ يحتاج إلى الصحةِ ، وهو لائقٌ بالإسراء لأجل فضيلة الجمعة ، قلتُ : لكن فيه وقفة فإنه صحَّ أنَّ جبريل صلى بالنبيِّ صلى الله عليه وسلَّم أوَّل يومٍ بعد

ٱلإسرآء ٱلظهرَ ولو كان يوم الجمعة لم يكن فرضها ٱلظهر إلاَّ أنه يحتمل أن تكون الجمعة لم تفرض بعد ، ويُبعد هذا ٱلاحتمال أنَّ ٱلجمعة أقيمت بٱلمدينة قبل الهجرة أقامها أسعد بنُ زُرارة ، والإسرآء علَى هذا ٱلقول قريب من الهجرة فيبعُد أن تكون الجمعة لم تفرض حينئذٍ ، وقد كان ٱلإسلام حينئذٍ فشا وكَثُر المسلمون فلا يقال : لعلَّ عددَ الجمعة لم يكن موجوداً وٱلله أعلم .

وأما ٱلتاريخ المكانيُّ فبٱعتبار ٱلبلد، المشهور أنه بمكة ، ومن قال بالمدينة فمحمول علَى ٱلتعدُّد وٱلمنام ، وبٱعتبار المكان الخاصّ فيؤخذ مما تقدَّم في في ٱلأحاديث أقوال : فقيل : في المسجد ، وقيل : بين المقام وزمزم ، وقيل : في الحِجْر ، وقيل : في بيته ، وقيل : في بيت أمّ هانئ ، وفي ٱلشفآء ما يؤخذ منه أنه كان في بيت خديجة ، وقيل : في شِعْب أبي طالب رواه الواقدي .

الفصل الرابع

في نكت المعراج

وهي كثيرة، والذي اخترناه منها هنا عشرون نكتة :

الأولى : تكلم الناس في الحكمة في الإسراء به أولاً إلى بيت المقدس قبل المعراج فقيل : ليحصل العروج مستويًا من غير تعريج، لما روي عن كعب الأحبار أن باب السماء الذي يقال له مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس، قال : وهو أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً، وقيل : ليجمع تلك الليلة بين القبلتين، وقيل : لأن بيت المقدس كان هجرة غالب الأنبياء قبله فحصل له الرحيل إليه في الجملة ليجمع بين أشتات الفضائل، وقيل : لأنه محل الحشر، وغالب ما اتفق له في تلك الليلة يناسب الأحوال الأخروية، فكان المعراج منه أليق، وقيل : للتفاؤل بحصول أنواع التقديس له حسًّا ومعنى، وقيل : لإرادة إظهار الحق على من عاند لأنه لو عرج به من مكة إلى السماء لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلاً إلى البيان والإيضاح، فلما ذكر عليه الصلاة والسلام أنه أسري به إلى بيت المقدس سألوه عن جزئيات من بيت المقدس كانوا رأوها وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك، فلما أخبرهم بها حصل التحقيق بصدقه فيما ذكر من الإسراء إلى بيت المقدس في ليلة، وإذا صح خبره في ذلك لزم تصديقه في بقية ما ذكره.

الثانية : استنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الإسراء وقال : إنما كان ذلك وهو صغير في بني سعد كما قال أحمد : حدثني حيوة ويزيد بن عبد ربه

قالا : حدثنا بقيةَ حدثني بحير بن سعد عن خالد بن معْدان عن أبي عمرو السلمي عن عتبة بن عبد السلمي أنه حدثهم أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان أول شأنك يا رسولَ الله ؟ قال : كانتْ حاضنتي منْ بني سَعْدِ بنِ بكرٍ فانطلقتُ أنا وابْنٌ لها في بهم لنا ولَمْ نأخذ معنا زاداً فقلتُ : يا أخي اذْهبْ فأتنا بزادٍ منْ عِندِ أمنا فانطلق أخي و مكثتُ عندَ البهمِ فأقبلَ طيرانِ أبيضانِ كأنهما نسرانِ فقال أحدهما لصاحبِهِ : أهُوَ هُوَ ؟ قال : نعمْ ، فأقبلا يبتدراني فأخذاني وبطحاني إلى القفا فشقا بطني ثمَّ استخرجا قلبي فشقاه فأخرجا منهُ علقتينِ سوداوينِ فقال أحدهما لصاحبه : ائتني بماءِ ثلجٍ فغسلا به جوفي ، ثمَّ قال ائتني بماءِ البردِ فغسلا بهِ قلبي ، ثمَّ قال : ائتني بالسكينةِ فذراها في قلبي ، ثمَّ قال أحدهما لصاحبهِ : خطهُ فخاطهُ وختمَ عليهِ بخاتمِ النبوةِ ، الحديث ، وقال ابنُ دحيةَ في معراجه وابن المنيِّر وغيرُهما : الصحيح أنَّ شقَّ الصدرِ مرتان . قال شيخ الإسلام ابن حجر : بل ثلاث مرات فقد ثبت أيضاً عند البعثة كما أخرجه أبو نعيم في الدلائل ولكلِّ حكمة ، فالأوَّل كان في زمن الطفولية لينشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان ، ثمَّ عند البعث زيادة في إكرامه ليتلقى ما يوحى إليه بقلبٍ قويّ في أكمل الأحوال من التطهير ، ثمَّ عند الإسراء ليتأهب للمناجاة ، قال أعني شيخَ الإسلام : ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل لتقعَ المبالغة في الإسباغ لحصول المرة الثالثة كما هي في شرعه صلى الله عليه وسلم في الطهارة ، قلت : وهذه الحكمةُ من أعظم الحِكَم وألطفها وأدقها ، وحقها أن تكتبَ بماء الذهب على صفحات القلوب لارتفاع محلها ، ثم قال شيخ الإسلام : وهذا الذي ذُكر من شق الصدر واستخراج القلب مما يجب التسليم له ، ولا

يصرف عن حقيقته لصلاحية القُدْرة فلا يستحيل شيء من ذلك ، قلتُ : والأمر كذلك ويؤيده الحديث الصحيح أنهم كانوا يرَوْن أثرَ المخيط في صدره الشريف ، وما وقع من بعض جهلة العصر من إنكار ذلك وحمله على الأمر المعنوي وإلزام قائله القولَ بقلب الحقائق الممتنع فهو جهلٌ صريح ، وخطأ قبيح ، نشأ من خِذلان الله تعالى لهم ، وعكوفهم على العلوم الفلسفية ، وعدم إحاطتهم بالقدْرة الربانية ، وبُعْدِهم عن دقائق السُّنة عافانا الله من ذلك ، قال ابن المنيِّر : وشقُّ الصدر له صلى الله عليه وسلم وصبرُه عليه من جنس ما ابْتُلِيَ به الذَّبيح وصبر عليه ، بل هذا أشقُّ وأجلُّ لأنَّ تلك معاريضُ وهذه حقيقة ، وأيضًا فقد تكرَّر ووقع له وهو رَضيع يتيمٌ بعيدٌ من أهله صلى الله عليه وسلَّم ، وقد اختُلف هل كان شقُّ الصَّدر وغسلُه مخصوصًا به أو وقع لغيره من الأنبياء .

الثالثة : الحِكمة في انفراج سَقْف بيته الإشارة إلى ما سيقع من شقِّ صدره وأنه سيلتئم بلا معالجة .

الرابعة : الحكمة في اختصاص الطَّسْت أنه أشهر آلات الغَسل عُرفًا ، والذهبِ لأنه أعلى أنواع الأواني وأصفاها ، ولأنَّ فيه خواصَّ ليست في غيره ، منها أنه من أواني الجنة ، وأنه لا تأكله النار ولا التُّراب ، ولا يَصْدَأ ، وأنه أثقل الجواهر فناسب ثقلَ الوحي ، وقال السُّهيليُّ وابنُ دِحْيَة : إن نُظر إلى لفظ الذَّهب ناسب من جهة إذهاب الرِّجس عنه ، ولكونه وقع عند الذَّهاب إلى ربه ، وإن نُظر إلى معناه فلوضاءته ونقائه وصفائه ولثقله والوحي ثقيل ، وأما تحريم استعماله فهو مخصوصٌ بأحوال الدُّنيا وذلك كان من أحوال الغيب فيلتحق بأمور الآخرة .

الخامسة : قال ابن المنيِّر : إنما كان الإسراء ليلًا لأنه وقت الخلوة والاختصاص عُرفًا ، ولأنه وقت الصلاة التي كانت مفروضةً عليه في قوله تعالى : (قُمِ اللَّيلَ) وليكون أبلغَ للمؤمن في الإيمان بالغيب ، وفتنةً للكافر ، ولأن اللَّيل محلّ الاجتماع

بالأحباب ، قال ابنُ دِحية : ولإبطال قول الفلاسفة : إنّ الظُّلمة من شأنها الإهانة والشرّ ، وكيف يقولون ذلك مع أنّ الله تعالى أكرم أقواماً في الليل بأنواع الكرامات كقوله في قصة إبراهيم : (فلمَّا جنَّ عليهِ الليلُ) إلى آخره ، وفي لوط : (فأسْرِ بأهلِكَ بقِطعٍ مِنَ الليلِ) ، وفي موسى : (وواعدْنا موسى ثلاثينَ ليلةً) وناجاه ليلاً وأمره بإخراج قومه ليلاً في قوله : (فأسْرِ بعبادي ليلاً) ، واستجابة دُعاء يعقوب فيه وهو المراد في قوله : (سأستغفرُ لكُمْ ربّي) قال المفسرون : أخّره إلى وقت السَّحر من ليلة الجمعة ، وأظهر منه انشقاق القمر آيةً له صلى الله عليه وسلم ، وإيمان الجنّ به وتبليغه إيّاهم الوحيَ كان ليلاً مع تفضيل الليل بسبقه النهار أي تقدّمه في الخلق والابتداء به في جميع آيِ القرآن ، وسبق الليلة يومها إلا عرفة ، وفيه ساعة الإجابة ، وهي في كلّ الليالي بخلاف الأيام فهي منها في الجمعة فقط ، وفي الليالي ليلةٌ خيرٌ مِنْ ألفِ شهرٍ وهي ليلة القدر ، وليس في الأيام يومٌ كألفِ شهرٍ فضلاً عن أن يكون خيراً منها ، وأطيب السمر ليلاً لخلوّ الفكر فيه ، وألذّ الوصال ليلاً بل هو وقته لقوله تعالى : (وهُوَ الذي جعلَ لكُمُ الليلَ لِباساً) وإشراق القمر فيه بخلاف النهار .

السادسة : قال ابن المنير : كانت كرامته صلى الله عليه وسلم في المناجاة على سبيل المفاجأة كما أشار إليه بقوله : بينا أنا وفي حق موسى صلى الله عليه وسلم عن ميعادٍ واستعدادٍ فحمل عنه صلى الله عليه وسلم ألم الانتظار .

السابعة : قال أيضاً : يؤخذ من قوله : (أسْرى بِعَبْدِهِ) ما لا يؤخذ أن لو قيل : بعث إلى عبده ، لأنّ الباء تفيد المصاحبة ، أي صحبه في مسراه بالإلطاف والعناية والإسعاف .

الثامنة : قال ابنُ دِحية : المعراج سُلّم من زُمُرّدة خضراء ، وقال شيخ

الإسلام ابن حجر : روى كعب أنه مرقاة من فضة ، ومرقاة من ذهب ، وروى ابن سعد أنه منضد باللؤلؤ .

التاسعة : سبق في الأحاديث اختلاف في أنه صلى ببيت المقدس بالأنبياء قبل العروج أو بعده ، وأن ابن كثير صحح أنه بعده ، وصحح القاضي عياض وغيره أنه قبله ، قيل : ويحتمل أنه كان بالأرواح خاصة أو بها مع أجسادها ، وأما رؤيته لهم في السماء فمحمولة على رؤية أرواحهم ، وأنها تشكلت بصورة أجسادهم إلا عيسى عليه السلام لأنه رفع بجسده ، وكذلك إدريس أيضاً ، أو أحضرت أجسادهم لملاقاته صلى الله عليه وسلم تشريفاً له وتكريماً .

العاشرة : وقع اختلاف أيضاً في تقديم الأواني له هل هو قبل العروج أو بعده ، قال ابن كثير وغيره : ولعله قدمت له مرتين لأنها ضيافة له صلى الله عليه وسلم ، والضيافة من الكريم تكون أكثر من آنين خصوصاً لمن يحب .

الحادية عشرة : الصحيح الذي تقرر من الأحاديث الصحيحة أن العروج كان في المعراج لا على البراق ، وتمسك بعضهم ببعض الروايات السابقة فقال : إنه عرج عليه فبلغ السموات السبع في سبع خطوات لأنه يضع حافره عند منتهى طرفه .

الثانية عشرة : قال ابن المنير : ذكر ابن حبيب أن بين السماء والأرض بحراً يسمى المكفوف ، يكون بحر الأرض بالنسبة إليه كالقطرة من البحر المحيط ، فعلى هذا يكون ذلك البحر انفلق لنبينا صلى الله عليه وسلم حتى جاوزه فهو أعظم من انفلاق البحر لموسى عليه الصلاة والسلام .

الثالثة عشرة : استفتاح جبريل أبواب السماء لأنها كانت مغلقة وإنما لم تهيأ له بالفتح قبل مجيئه وإن كان أبلغ في الإكرام ، لأنه لو رآها مفتحة لظن أنها لا تزال كذلك ، ففعل ذلك ليعلم أن ذلك لأجله تشريفاً ، ولأن

الله أراد أن يُطلعه على كونه معروفاً عند أهل السموات أيضاً لأنه قيل لجبريل لما قال محمدٌ : أبعث إليه ، ولم يقل : ومن محمد مثلاً .

الرابعة عشرة : قول الخازن : أبعث إليه ليس استفهاماً عن أصل البعث ، لأنه مشهورٌ في الملكوت الأعلى ، بل البعثُ للمعراج ، قال شيخ الإسلام ابنُ حجر : وفي قوله لجبريل : ومن معك ؟ دليلٌ على أنه أشعر بأنّ معه رفيقاً ، وإلا لقال : أمعك أحدٌ ، وذلك إما بمشاهدةٍ لكون السماء شفافة ، أو بأمرٍ معنويٍ كزيادة أنوارٍ أو نحوها تشعر بتجدُّد أمرٍ يحسن معه السؤال بهذه الصيغة .

الخامسة عشرة : الأضبطُ في الروايات في محل الأنبياء أن آدم في السماء الأولى ، ويحيى وعيسى في الثانية ، ويوسف في الثالثة ، وإدريس في الرابعة ، وهارون في الخامسة ، وموسى في السادسة ، وإبراهيم في السابعة ، واختُلف في الحكمة في اختصاص كلٍ منهم بالسماء التي التقاه فيها ، فقيل : لا حكمة في ذلك ، وإنما أمروا بملاقاته فمنهم من سبق ، ومنهم من لحق ، وقيل : بل للإشارة إلى تفاضل درجاتهم ، وقيل : الحكمةُ في الاقتصار على المذكورين الإشارة إلى ما سيقع له صلى الله عليه وسلم مع قومه من نظير ما وقع لكلٍ منهم ، فأما آدم فوقع التنبيه بما وقع له من الخروج من الجنة إلى الأرض بما سيقع له صلى الله عليه وسلم من الهجرة إلى المدينة ، والجامعُ بينهما ما حصل لكلٍ منهما من المشقة وكراهة فراق ما ألفه من الوطن ، ثم كان عاقبةُ كلٍ منهما أن رجع إلى موطنه الذي أخرج منه ، وبعيسى ويحيى على ما وقع له أولَ الهجرة من عداوة اليهود وتمالؤهم على البغي عليه ، وإرادتهم وصول السوء إليه ، وبيوسف على ما وقع له مع إخوته من قريشٍ من نصبهم الحربَ له وإرادتهم هلاكه ، وكانت العاقبة له ، وقد أشار إلى ذلك بقوله لقريشٍ يومَ الفتح : أقول كما قال أخي يوسف :

(لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ) وبإدريسَ علَى رفع منزلته عند الله ، وبهارون علَى أن قومه رجعوا إلى محبته بعد أن آذوه ، وبموسى علَى ما وقع له من معالجة قومه ، وقد أشار إلى ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام : لقد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر ، وبإبراهيمَ في أستناده إلى البيت المعمور بما ختم له صلى الله عليه وسلم في آخر عمره من إقامة منسك الحج ، وتعظيم البيت ، ذكر ذلك السهيلي وأستحسنه شيخ الإسلام ابنُ حجر ، وقد ذُكر في مناسبة لقاء إبراهيم في السابعة معنى لطيفٌ آخر ، وهو ما أتفق له صلى الله عليه وسلم من دخول مكةَ في السنة السابعة ، وطوافه بالبيت ، ولم يتفق له الوصول إليها بعد الهجرة قبلَ هذه ، بل قصدها في السنة السادسة فصُدَّ عن ذلك ، وقال ابن أبي جمرة : الحكمةُ في كون آدم في الأولى أنه أوّل الأنبياء ، وأوّل الآباء ، وهو أصلٌ فكان أوّلًا في الآباء ، ولأجل تأنيس النبوة بالأبوّة ، وعيسى في الثانية لأنه أقربُ الأنبياء عهدًا من محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، ويليه يوسف لأنَّ أمة محمد صلى الله عليه وسلم يدخلون الجنة علَى صورته ، وإدريس قيل لأنه أول مَنْ قاتل للدّين فلعلّ المناسبة فيه الإذن للنبيّ صلى الله عليه وسلم بالمقاتلة ، ورفعه بالمعراج لقوله تعالى : (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) ، والرابعة من السبع وسط معتدل ، وهارُون لقُربه من أخيه موسى ، وموسى أرفع منه لفضل كلام الله ، وإبراهيم لأنه الأبُ الأخيرُ ، فناسب أن يتجدّدَ للنبيّ صلى الله عليه وسلّم بلُقيَةِ أنسٌ لتوجهه بعده إلى عالَمٍ آخر ، وأيضًا فمنزلة الخليل تقتضي أن تكون أرفعَ المنازل ، ومنزلة الحبيب أرفع ، فلذلك ارتفع عنه إلى قابِ قوسَيْنِ أو أدْنَى .

السادسة عشرة : قيل : اقتصر الأنبياء علَى وصفه بالصالح وتواردوا عليها ، لأنَّ الصلاح صفةٌ تشمَلُ خِلالَ الخَير ، ولذا كرّرها كلٌّ منهم عند كلِّ صِفَة .

السابعة عشرة : قال العلماء : لم يكن بكاء موسى وقوله ما قال حسداً معاذ الله ، فإن الحسد في ذلك العالم منزوع عن آحاد المؤمنين فكيف لمن أصطفاه الله ، بل أسفاً على ما فاته من الأجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع من أمته من كثرة المخالفة المقتضية لنقص أجورهم المستلزمة لنقص أجره ، لأن لكل نبي مثل أجر من تبعه ، ولهذا كان من أتبعه دون عدد من أتبع نبينا صلى الله عليه وسلم مع طول مدتهم ، وأما قوله : غلام فهو على سبيل التنويه بعظمة الله وقدرته وعظيم كرمه إذ أعطى من كان في ذلك السن ما لم يعطه أحداً قبله ممن هو أسن منه لا على سبيل التنقيص ، قال الخطابي : والعرب تسمي الرجل المستجمع السن غلاماً ما دامت فيه بقية من القوة ، قال شيخ الإسلام ابن حجر : ويظهر لي أن موسى عليه السلام أشار إلى ما أنعم الله به على نبينا عليه الصلاة والسلام من استمرار القوة في الكهولة إلى أن دخل في أول سن الشيخوخة ، ولم يدخل في بدنه هرم ، ولا أعترى قوته نقص ، حتى إن الناس في قدومه المدينة لما رأوه مردفاً أبا بكر أطلقوا عليه أسم الشاب ، وعلى أبي بكر أسم الشيخ مع كونه في العمر أسن منه .

الثامنة عشرة : قال القرطبي : الحكمة في تخصيص موسى بمراجعة النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الصلوات لعلها لكون أمة موسى كلفت من الصلوات بما لم يكلف به غيرها من الأمم فثقلت عليهم فأشفق موسى على أمة محمد صلى الله عليه وسلم من مثل ذلك ، ويشير إليه قوله : إني قد جربت الناس قبلك ، وقال شيخ الإسلام ابن حجر : يحتمل أن يكون موسى لما غلب عليه في الابتداء الأسف على نقص حظ أمته بالنسبة إلى أمة محمد حتى تمنى ما تمنى أستدرك ذلك ببذل النصيحة لهم والشفقة عليهم ، ليزيل ما عساه أن يتوهم عليه فيما وقع منه في الابتداء .

التاسعة عشرة : اختُلِف هل رأى النبيُّ صلى الله عليه وسلم ربَّه ليلةَ المعراج علَى قولَيْن مشهورَيْن فأثبت ذلك ابن عباس وطائفة ، وأنكرته عائشة ، والصحيحُ ثبوتها . قال أحمد : حدثنا الأسود بن عامر حدثنا حمّاد بن سَلَمة عن قتادةَ عن عِكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رَأَيْتُ رَبِّي تَبارَكَ وَتَعالَى ، وقال الطَّبراني : حدثنا الهَيْثَمُ بنُ خَلَفٍ حدثنا يزيدُ بن عمرو ابنُ البراءِ الغَنَوي حدثنا حَفص بن عمر العَدَني حدثنا موسى بنُ سعد عن مَيْمُون العَباد عن عِكْرِمة عن ابن عباس قال : نظر محمد صلى الله عليه وسلم إلى ربه تبارك وتعالى ، قال عِكْرِمة : فقلتُ لابن عباسٍ : نظر محمدٌ إلى ربه ؟ قال : نعم ، جعل الكلام لموسى ، والخُلَّةَ لإبراهيمَ ، والنَّظرَ لمحمد صلى الله عليه وسلم ، أخرجها الحاكم في المستدرك .

العشرون : ذكر ابن المُنَيِّر المعراج فقسمه إلى عشرة معاريج بعدد سِني الهجرة فذكر السبعة إلى السبع سموات ، وذكر مناسبته للسبع الأول من الهجرة كما تقدَّم ، قال : والثامنُ المعراج إلى سِدرة المنتهى التي ينتهي إليها ما يَعرُج من الأرض وما ينزل من السماء ، قال : ومناسبته للثامنة من الهجرة أنها اشتملت علَى فتح مكةَ وهي أمُّ القرى وإليها المنتهى ، وقد غَشِيَها أي السِّدرةَ الجرادُ وهو جندٌ من جنود الله كما في الحديث ، كما غَشِيَ مكةَ في الفتح جند الله وحزبه ، والتاسع المعراج إلى المستوى الذي سمع فيه صريفَ الأقلام أي صريرَها في الصُّحُف وهذه الكتابة انتساخٌ من الأصل القديم المقرَّر الذي جفَّ القلم منه بما هو كائنٌ ، ومناسبته للسنة التاسعة أن فيها غزوةَ تَبُوك ، فخرج النبيُّ صلى الله عليه وسلم في ثلاثين ألفاً ، وأعلمَ الناسَ بها ولم يُورِّ ليتأهبوا لها ، ومع هذا الإشهاد والاستعداد لم يَلْقَ فيها حرباً ، ولا فتح بلداً فانتسخ العزم بالقدر وجفاف القلم . والعاشر : المعراج إلى الرَّفرف وحينئذٍ لقي الله وسمع الخطاب ، وحضر حضرة

الأُنس ، ومناسبته للعام العاشر أمرٌ بيّنٌ واضحٌ لأن فيه لقاء البيت ، وإكمال الدين ، وإتمام النعمة على المسلمين ، وعقبه لقاء رب البيت ، والانتقالُ إلى دار البقاء ، والعروجُ بالروح الكريمة إلى المقعد الصدق والوعد الحق .

والحمدُ لله رب العالمين حمداً يوافي نِعَمه ، ويكافئ مزيده ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمدٍ سيد الأولين والآخرين ، وآله وصحبه الطيبين الطاهرين ، والحمد لله وحده .

خاتمة الطبع

نجز بعون الله تعالى طبعُ هذه الرّسالة اللَّطيفة عن نسخة مخطوطةٍ غير مؤرخة ، والغالب أنها كُتبت في عصر مؤلفها خاتمة الحفاظ جلال الدّين عبد الرّحمن ابن أبي بكر السُّيوطي رحمه الله تعالى ، وهي نُسخةٌ تغْلِب عليها الصِحة ، صفحاتُها ٨٦ بقطع صغير ، في كلّ صفحة ١٣ سطراً .

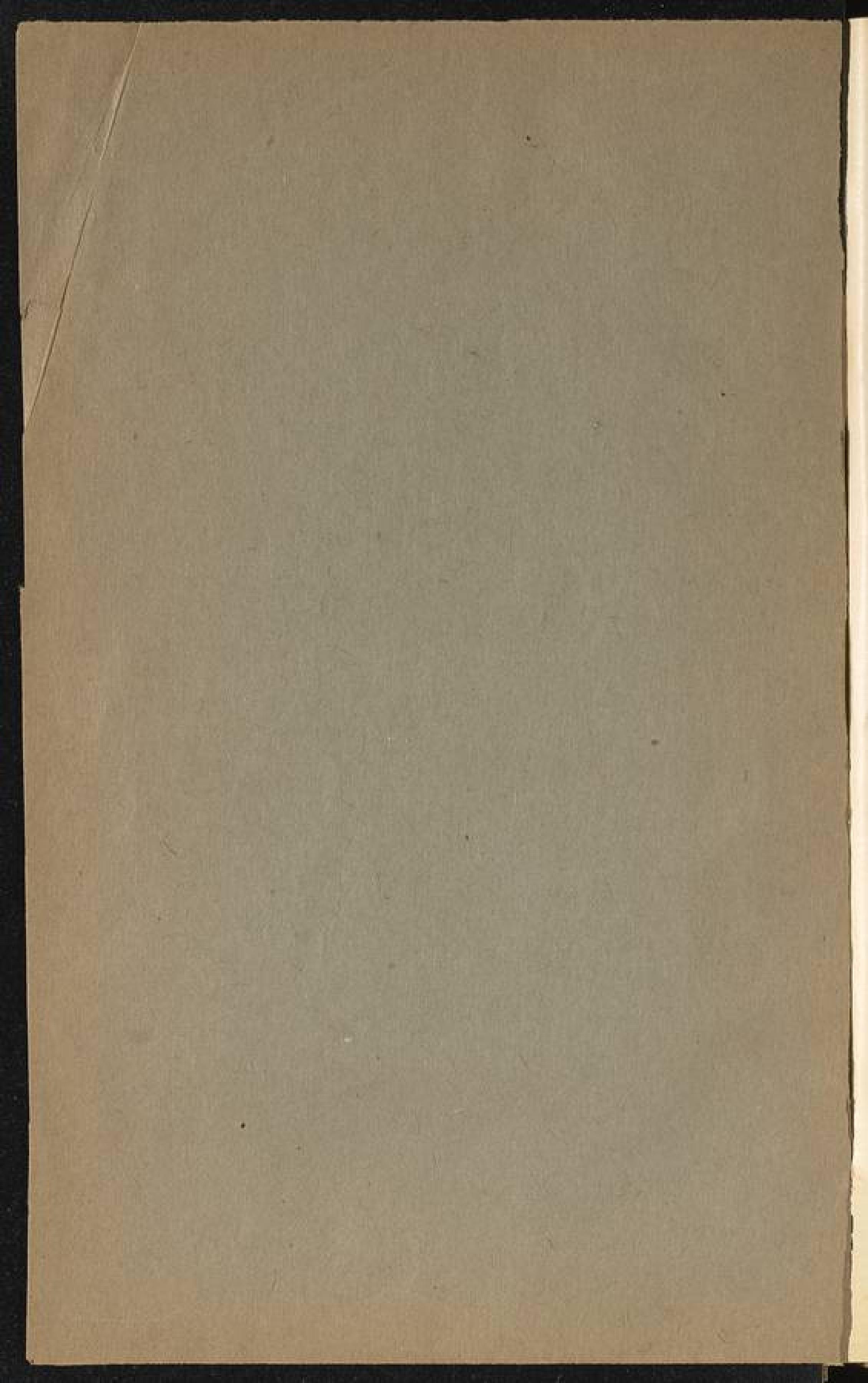
وحينما بلغنا بالطَّبع الصَّفحةَ الـ ١٦ استعرنا نسخة الأُستاذ المرحوم الشيخ حسن الأسطواني وهي مكتوبة بخط الفاضل الشيخ محمد صادق فهمي المالحُ في جُمادى الأُولى سنة ١٣٣٢ فعارضنا بها النُّسخة الّتي عندَنا فألفينا فيها نقصاً في الفصل الثاني ، وزياداتٍ في بعض الكلمات والجُمَل فوضعناها مواضعها في الطَّبع ، كما رجعنا في تصحيح ما أشكَل علينا إلى الميسور لدينا من أُصول السُّنَّة التي نقل عنها المؤلف ، فجاءَت هذه النسخةُ بحمد الله صحيحةً تامة .

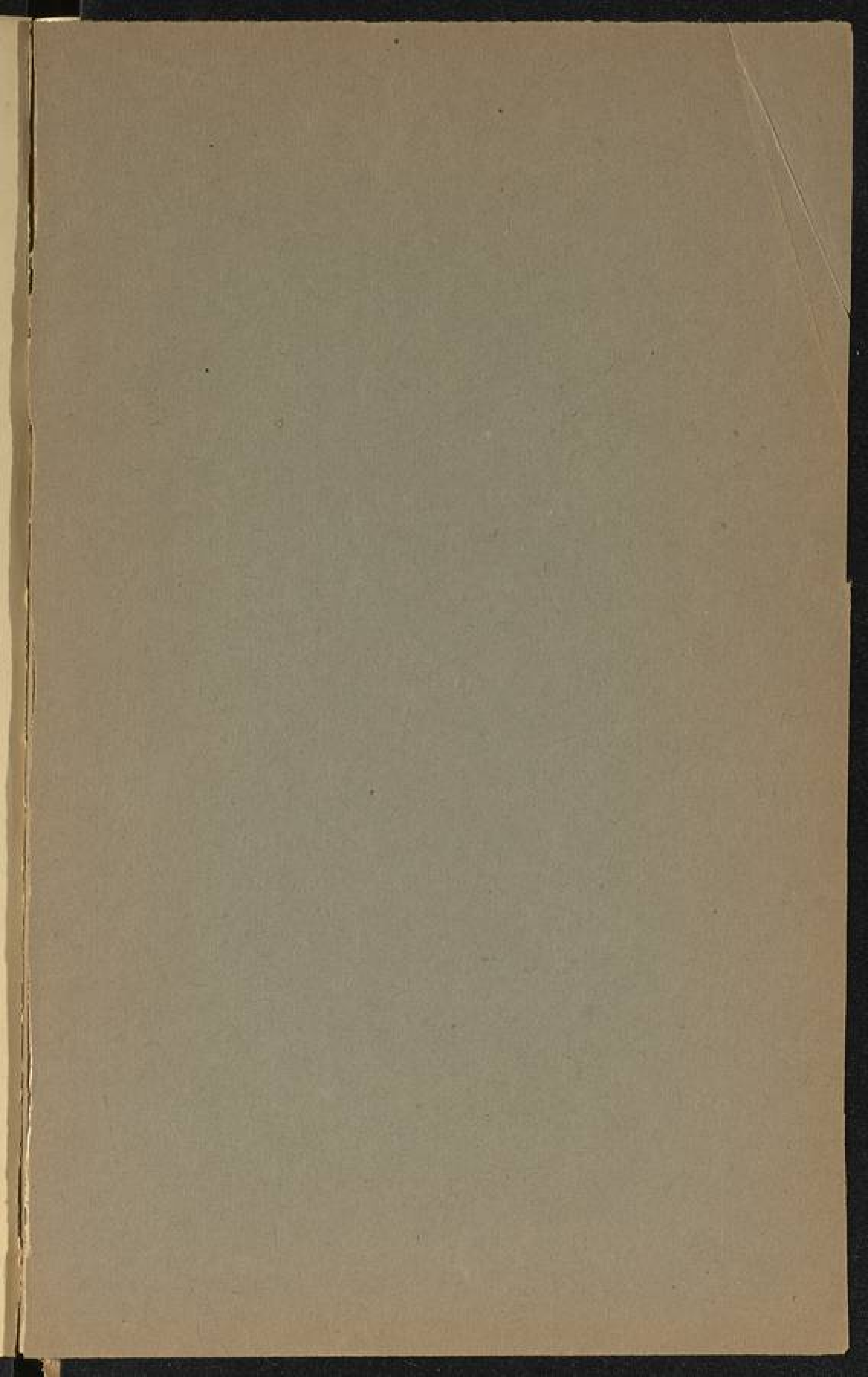
محمد رسول الله

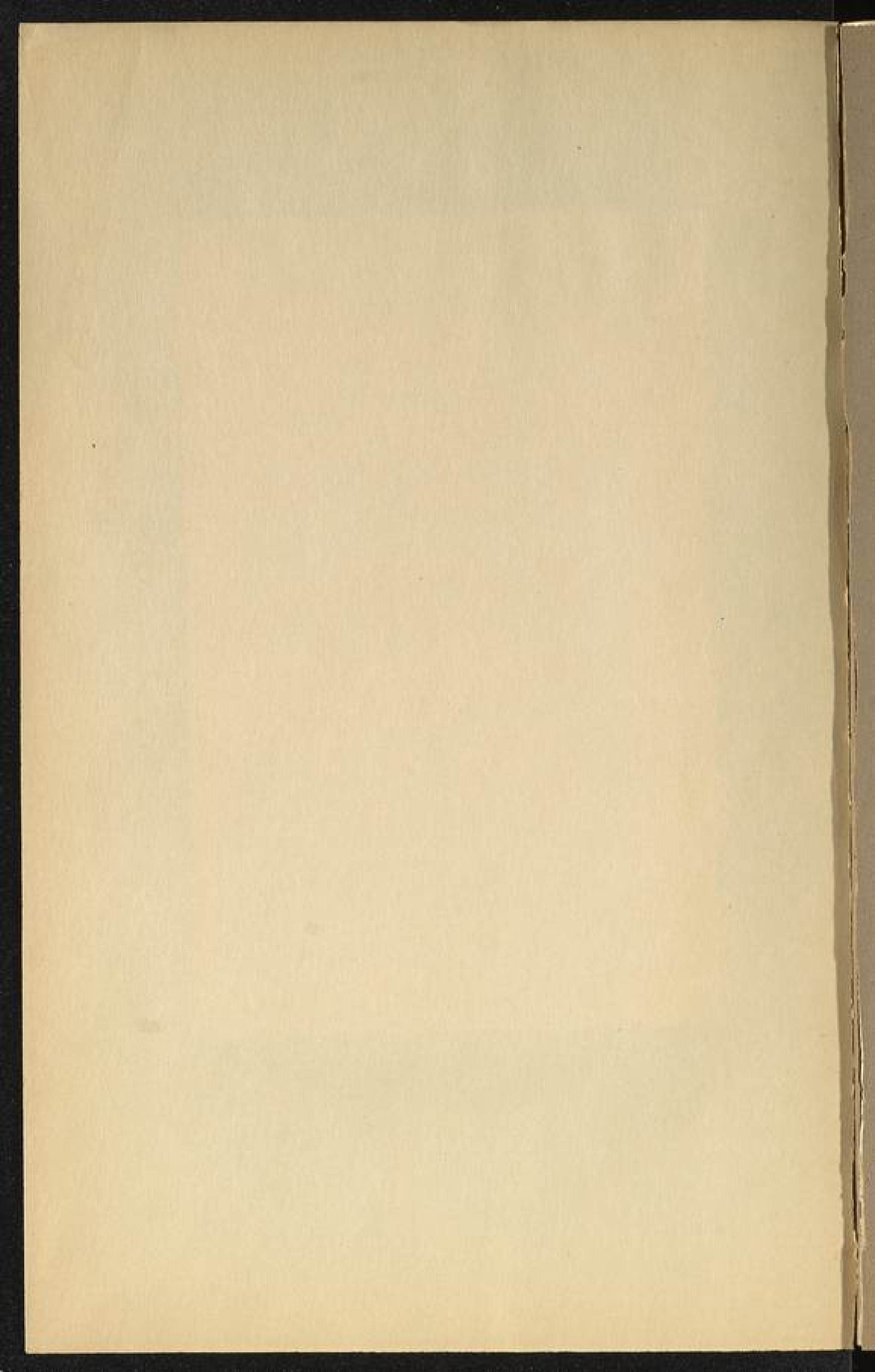
صلى الله عليه وسلم

قال أستاذنا العالم الفاضل الورع الشيخ محمد أبو الخير الطبّاع مؤسس المدرسة العلميّة الوطنية في دمشق المتوفى سنة ١٣٢٩ رحمه الله تعالى :

خيرُ خلقِ الله مذ خُلِقا ... عاد شملُ الكفرِ مفترِقا
وهلالُ الهدي لاح به ... في سماءِ الدين مؤتلِقا
قام يدعو والأنامُ على ... غيّهم قد أصبحوا فِرَقا
فاقتدى منهم به عُصَبٌ ... هجروا الأوطان والرُّفقا
يا حبيبَ الله إني إذا ... بارقٌ مِن نحوكم برَقا
هيّج الأشواق مني إلى ... ذلك المغنى فعدتُ لَقَى
وفؤادي من محبّتكم ... كلّما هبّ الصبا خفَقا
يا نسيماً مرّ بي سحَراً ... طيبُه في الحيّ قد عبِقا
حيِّهم إمّا سريتُ إلى ... حيّهم عمّن بهم علِقا
واطلبِ الصفحَ الجميلَ فهم ... أهلُ صفحٍ في الورى وتقى
علّهم يرثون لي فأرى ... ثوبَ صفوٍ لم يكن خلَقا
فكثيرُ الذنب يرفعه ... ودُّ مَن في الحبّ قد صدَقا








COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU58923780
893.7Su9 O2
Aya al-kubra fi shar